الباب الرابع

حقائق ومواقف

- حضـــارة لا اله الا الله .. وتحرير الانســـان .
- هذا التلوث الجنسى .
- أوروبـــا . . مهـــلا !
- قضية الدجال الهندى .
- مقاطع شيطانية .
- حملة مسعورة على : عيسى ومحمد .
- بين شيطانيات : الهندى .. واليونانى !
- محاكمة الكاتب سلمان رشدى . وفق أحكام الكتاب المقدس .
- حقـــوق الانســـان .

obeikandl.com

obeikandl.com

حضارة لا اله الا الله .. وتحرير الانسان

يعرف التحضر ، فى أبسط صوره ، بأنه الارتقاء بالانسان من حالة التوحش والبداوة والجهل الى ما هو أفضل ، وذلك بالتعليم والتهذيب والعيش فى نظام اجتماعى قادر على تيسير الحياة وتطويرها ...

ويقول ى . هل فى كتابه : « **الحضارة العربية** » : « الحاجة أم الحضارات الانسانية ، ذلك أن النفس البشرية فطرت على شوق لا حد له الى الرفاهية والسيطرة والجمال والحق . وهذه الغايات هى الأهداف الأخيرة لكل طموح انسانى ، والسعى اليها هو العلة الجوهرية فى ارتقاء الانسانية .

فالمثل الأعلى للانسان يكمن وراء عدد لا يحصى من الحاجات ، وكلما حصل على واحدة منها اتسع مجال طموحه الى ما يليها .

وعلى هذا النهج تسير الحضارات كلها : الحاجات الجديدة تؤدى الى وجود أهداف جديدة ، والكدح فى سبيل هذه الحاجات هو الطابع الذى يميز الحضارة ، والحصول عليها هو خلق للحضارة نفسها ، وادخال أقوال آخرين فى مجالها هو نشر لهذه الحضارة »[1] .

ان النظر الى الحضارة من هذا المنطلق انما ينبع من مفهوم مادى بحت بالدرجة الأولى ، وان تخللته بعض اللمسات الفكرية التى تتحدث عن الحق والجمال . وهو تقرير خاطىء لأنه أسقط من حسابه العنصر الرئيسى المسئول عن الوجود الانسانى نفسه ، وكل تقرير أسقط عنصرا من العناصر المؤثرة فى عملية ما يعتبر تقريرا خاطئا بلا جدال .

ان حضارة صنعها الانسان بهذا المفهوم ، لهى حضارة مقضى عليها بلا شك ، لأنها لم تتعد أن تكون **حضارة المتاع** ...

---

(١) نقله الى العربية : الدكتور ابراهيم أحمد العدوى ـ ص ١١

لقد نسى الانسان خالق الوجود ... **لقد نسى الاله** .. !

وماذا بقى بعد ذلك ، بل وأى معنى لوجوده ، اذن ، وفيم الكفاح؟!

ان الانسان لا يقف وحده ، فى هذا الكون ، كما ادعى هكسلى ، ومن سبقوه ، ومن جاءوا بعده ...

ان هناك : **الله ، والكون ، والانسان** ... وعلى الانسان أن يعى ذلك تماما ، والا فالحياة عبث ، والمصير ضياع وشقاء ...

ومن هنا كانت حضارة الاسلام مختلفة عن غيرها من الحضارات ، وحق لها أن تسمى باسم : **حضارة لا اله الا الله** ...

ونقطة البدء فيها أن يعلم الانسان : ﴿ **انه لا اله الا الله** ﴾ .
(**محمد** : ١٩)

ومعنى هذا أن يتعامل الانسان مع الله مباشرة ، دون واسطة ما ، كائنا من كان ...

فرسول الله ليس واسطة بين الله وخلقه ، انما هو داع الى الله ومعلم منهجه ، ومبين محتواه ...

﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ .
(آل عمران : ١٤٤)

ثم لنقرأ جيدا قول الحق هذا ، لنعلم كيف يدعو الله الانسان ــ كل انسان سواء أكان : رجلا أو امرأة ، متحضرا مغرورا أو متخلفا لا يدرى من أمر دنياه شيئا ... يدعوه ليتعامل معه ــ سبحانه ــ مباشرة **وذلك على هدى منهجه** ، فيقول مخاطبا نبيه :

﴿ **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾
(الشورى : ٥٢)

آنذاك يضع الانسان عن كاهله أثقالا كاذبة ، تتمثل فى معتقدات خاطئة ، وخوف من قوى لا وجـود لها • ويفك أسـاراه وأغلاله التى قيدته بها تقاليد زائفة ، فينطلق نحو التقدم فى الحياة ، ويعمل من أجل تخفيف آلامها والاستمتاع بها وفق منهج الله ، فيحقق لنفسـه ولغيره الخير والأمن فى الدنيا والآخرة •

حضارة الاسـلام ، اذن ، **هى حضارة لا اله الا الله ، لأنهـا** تعلم الانسان الحق والخير والجمال ، وتدعوه الى التفكر والبحث والدراسة والابداع ، وتجعل تخفيف أعباء الحياة وتوفير **المتاع عبادة مثل** سـائر العبـادات •••

❋

● **قالوا عن حضارة الاسلام :**

تقول العالمـة الألمـانية الدكتورة **سيجريد هونكه** عن حضـارة الاسلام التى قامت على **لا اله الا الله** ، كما علم بذلك **محمد رسول الله:** « لو أوصى محمـد كل مؤمن ، رجـلا كان أو امـرأة ، بطلب العلم ، وجعـل ذلك واجبـا دينيـا • فهـو الذى يقـول للمؤمنين : **اطلبوا العلم من المهد الى اللحد** • ويرشد أتباعه دائما الى هذا ، فيخبرهم بأن ثواب التعلم كثواب الصيام ، وأن ثواب تعليمه كثواب الصلاة •

وكان محمد يرى فى تعمق أتباعه فى دراسـة المخلوقات وعجائبها ، وسـيلة للتعرف على قدرة الخالق • وكان يرى أن المعرفة تنير الايمان ، مرددا عليهـم : **اطلبوا العلم ولو فى الصين** •

والرسول يطلب الى علوم كل الشعوب ، فالعلم يخـدم الدين • والمعرفة من الله وترجـع اليـه • لذلك فمن واجبهم أن يصـلوا اليها وبنالوها ، أيا كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر •

وعلى النقيض تماما يتساءل **بولس الرسول** مقرا : : **(ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالفباوة) ؟ (١) .**

مفهومان مختلفان بل عالمان منفصلان تماما ، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر فى الشرق والغرب .

وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة ، والمعرفة السطحية المعاصرة فى أوروبا ، حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها .

ويعرف **القديس أوغسطينوس** محور المعرفة قائلا : (أما الرب والروح فانى أبغى معرفتهما . فالبحث عن الحقيقة هو البحث عن الله ، وهذا لا يستدعى معونة من الخارج) . والمصدر الوحيد لتلك المعرفة هو **الكتاب المقدس** ، وقصة الخليقة تعطى كل ما يحتاجه المرء من معلومات عن السماء والأرض والجنس البشرى . وأما أن يكون هناك سكان على الوجه الآخر من الأرض ، فقد نفاه أوغسطينوس بشدة : **(الكتاب المقدس لم يذكر مثل هذا الجنس من سلالة آدم) .**

وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضلال ، فمعلم الكنيسة **لاكتانتيوس** يتساءل مستنكرا : **(هل هذا من المعقول ؟! أيعقل أن يجن الناس الى هذا الحد ، فيدخل فى عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم) ؟!** لقد كانت الأرض بالنسبة الى بعض الناس تلا تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب ، وبالنسبة الى الآخرين مسطحا تحيط به المحيطات ..

ملعون من يقتنع أو يقبل الآن تفسيرا علميا لحوادث الطبيعة . خارج عن طاعة الرب من يشرح أسبابا طبيعية لبزوغ كوكب أو فيضان

---

(١) يقول بولس فى رسائله : « اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء .. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ... ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر ، **فليصر جاهلا لكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله** ، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم . **وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة** ـ الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ ـ ٢٨ ، ٢ : ١٨ ـ ٢٠ » .

نهر ، بل لمن يعلل علميا شفاء قدم مكسورة أو اجهاض امرأة • فتلك كلها عقوبات من الله ، أو من الشيطان ، أو هى معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !

ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها فى المجال الدينى ، لم يكن عامل انقاذ للحضارة بل كان عائقا لها • لقد كانت أمامهم الفرصة ، تماما كالعرب ، بل ان فرصتهم كانت أكبر فى أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به فى درجات السلم المرقى ••

لكن الفكر الاغريقى ظل بالنسبة اليهم غريبا على الدوام • فحوالى عام ٣٠٠ ميلادية علل أسقف قيصيرية أويزيبيوس ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من الاسكندرية قائلا : (ان موقفنا هذا ليس جهلا بالأشياء التى تعطونها أنتم كل هذه القيمة ، **وانما لاحتقارنا لهذه الأعمال التى لا فائدة منها** • لهذا فاننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع) •

ويظل هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير ، فيتحدث بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس توما الاكوينى فيقول : **(ان المعرفة القليلة لأمور سامية اجل قدرا من معرفة كبيرة موضوعها امور حقيرة)** ••

ولقد بدت للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التى تهتم **بالأمور الحقيرة** الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين • **ففى عام ١٢٠٦ نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد فى باريس رجال الدين بشدة الى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر** •

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمى ، **واجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على انكار ما قالوه من النظريات العلمية ، والا كان مصيرهم الحرق العلنى بالنار** لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الالهية •

ومن هنا فقط يتضح لنا تماما لماذا احتاجت الحضارة فى الغرب ألفا من السنين قبل أن تبدأ فى الازدهار تدريجيا ، مع أنها كانت لديها فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية بقرنين أو ثلاثة ... وما ان انقضى قرن واحد من الزمان على الفتوحات الاسلامية حتى ازدهرت حضارة العرب وآتت أكلها مكتملة ناضجة ..

ان الاسلام لا يعرف وسيطا بين العبد والرب ، ولم يكن لديه على الأقل فى تلك الظروف الحاسمة طبقة من الكهنة ولا تنظيمات وسلطات عليا مشرفة . **وحيثما كانت المسيحية تطفى نتيجة لتسامح المسلمين ، كان ذلك دائما يؤدى الى كساد العلوم واهمالها . ولعل افناء الطبقة العلمية العليا على يد الأسبان والمغول ، هو خير برهان على ما نقول .**

كانت الاحتكاكات بين الآراء المختلفة قد منحت الحركة الفكرية حيوية دائمة ، وحمت الاسلام من الجمود وأجبرته على أن يسلح نفسه علميا ، وأن يتطور بالقوى العقلية وينهض بها من سباتها . وساعده على ذلك المطالب العديدة المنبثقة من شعائر الدين أو من الحياة اليومية للشعوب .

واجبات عديدة ومسئوليات جسيمة : فمعالجة المرضى ضرورية ، وحماية الملايين من سكان المدن الكبيرة من الأوبئة ، وامدادهم بالدواء الناجع يتطلب أبحاثا علمية دقيقة . وأدخلتهم حاجات تلك الملايين فى عالم الحيوان والنبات ليدرسوه وينهضوا به . فنظم رى الأرض ومسحها ، ورصدت الكواكب وحركاتها ، ونظمت الرحلات ، وأخذ كل شيء مكانه وزمنه اللازم له ...

ففى كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع : **تعلم وزد معارفك قدر امكانك واينما استطعت .** وبأقدام ثابتة ونفوس مطمئنة ، تعرف حقها وتؤدى واجبها ، أقبل العرب على ما وجدوا من معارف ، فاغترفوا منها قدر جهدهم ، وما رأوا فيه نفعا لهم ..

لقد ذاقوا حلاوة العلم فازداد شوقهم الى البحث عنه ، ولم يعودوا يرضون بغير العلم والبحث بديلا . وبدأ نوع فريد فى التاريخ من طرق الكشف عن كنوز المعرفة ، خصصت له البعثات الضخمة والأموال الطائلة ، بل واستخدمت لأجله الوسائل الديبلوماسية ، وخدمته سياسة الدولة الخارجية ..

ولو اردنا دليلا آخر على مدى الهوة العميقة التى كانت تفصل الشرق عن الغرب ، لكفانا ان نعرف أن نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكان الغرب فى القرون : التاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر ، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة .

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة ، وبينما امراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة ، وفى الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة انه عام ١٢٩١ لم يكن فى دير جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط ـ بينما كان هذا كله يحدث فى الغرب ـ كانت آلاف مؤلفة من المدارس فى القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يسيل الى السواد فوق ألواحهم الخشبية ، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ، ويجودون ذلك معا بلحن جميل عن ظهر قلب ، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى فى المبادىء لقواعد اللغة .

وكان الدافع الى كل هذا هو رغبتهم الصادقة فى أن يكونوا مسلمين حقا كما يجب أن يكون المسلم . فلم يجبرهم أحد على ذلك ، بل اندفعوا اليه عن رغبة وايمان ، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن .

فالكتاب المقدس لا يجد الناس اليه سبيلا ، اذا استثنينا الكهنة

ورجال الدين ، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته . ومنذ عام ٨٠٠ ميلادية لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ، حتى ان مجلس رؤساء الكنائس المنعقد فى مدينة تور أوصى بوعظ الناس باللغة التى يتكلمون بها . ولم تكن هناك حاجة تدعو الشعب فى تلك العصور الى تعلم اللاتينية ، بل لم تكن هناك أية رغبة فى تعليم الشعب أو تثقيفه .

وعلى خلاف ذلك ، كان الحال فى العالم الاسلامى ، فقد اهتمت الدولة بتعليم الرعية . ولم تلبث أن جعلت من التربية واجبا ترعاه ، فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الاولى مقابل مبالغ ضئيلة يقدر على دفعها الناس دون مشقة . ومنذ بدأت الدولة تعين المعلمين للمدارس ، أمكن للفقراء أن يعلموا أولادهم مجانا .

بل ان بعض البلدان العربية ، مثل أسبانية ، قد جعلت لتعليم للجميع مجانا . وقد افتتح الحكم الثانى حوالى عام ٩٦٥ م فى قرطبة سبعا وعشرين مدرسة لأبناء الفقراء ، بالاضافة الى المدارس الثمانى التى كانت فيها فعلا .

وفى القاهرة ، أنشأ المنصور قلاوون مدرسة لليتامى ملحقة بالمستشفى المنصورى ، ومنح كل طفل فيها ، يوميا ، رطلا من الخبز ، وثوبا للشتاء ، وآخر للصيف ..

وانشأت الدولة المدارس العليا فى كافة المدن الكبيرة . وكان الطلبة يتناولون طعامهم مجانا ، بل ويتقاضون مرتبا صغيرا ، ويسكنون فى الأدوار العليا فى المدرسة دون مقابل . أما فى المهاجع فثمة المطبخ والمخازن والحمامات . وفى الطبقة الأرضية تلتف الفصول وقاعات المكتبة على شكل دائرى خلف ممرات مظلة تزينها الأعمدة ، وفى الوسط فناء فسيح تتوسطه نافورة ماء .

هنا يتعلم شباب العرب الطموح القرآن وقواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب **والتاريخ والجغرافية والمنطق والفلك والرياضة** . ويساهم الطلاب فى المناقشات والمناظرات ، ويعيد معهم دروسهم مساعدون من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين . وتبدو هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط ، تخرج للجميع شهدا حلوا فيه شفاء للناس ، ولتقدم قادة للعلم والسياسة ..

أما الطريق الذى يسلكه الراغب فى تعلم فرع معين من العلوم ، والذى يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوما من الأيام ، فكان يبدأ فى المساجد . **فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب ، بل كانت منبرا للعلوم والمعارف** ، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمى . ألم يقل محمد أقوالا ، كان يكفى لأن يقولها فى رومة حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة . **أو ليس هو القائل : بأن حبر الطالب أقدس من دم الشهيد ؟!**

وحول أعمدة الجامع كان يجلس الأستاذ ويلتف حوله طلبته ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء ، رجلا كان أو امرأة ، ولكل الحق فى سؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا . وكان هذا النظام أكبر دافع للأساتذة يدفعهم دائما للاعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيها ..

وحول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائما فرصة الاستماع الى **الأساتذة الزائرين من** كل أنحاء العالم العربى المترامى الأطراف .. سواء أكان هؤلاء العلماء فى طريقهم الى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض ، يجوبون أنحاء العالم الاسلامى من سواحل بحر قزوين الى سواحل الأطلسى ، **ومنهم المؤرخون والجغرافيون ، ومنهم علماء الحيوان والنبات** والباحثون فى تراث الأدب القديم ..

لقد قدم العرب ، بجامعاتهم التى بدأت تزدهر منذ القرن التاسع ،

والتى جذبت اليها منذ عهد **البابا سلفستر الثانى** عددا من الغربيين من جانبى جبال البرانس ، ظل يتزايد حتى صار تيارا فكريا دائما ، فقدم العرب بها للغرب نموذجا حيا لاعداد المتعلمين لمهن الحياة العامة وللبحث العلمى .

لقد قدمت تلك الجامعات ـ بدرجاتها العلمية ، وتقسيمها الى كليات ، واهتمامها بطرق التدريس ـ للغرب أروع الأمثال ، ولم تقدم هذا المظهر فقط ، بل وفرت له كذلك اللباب : مادة الدراسة »(١) .

* *

واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقال دائما ، فان ما سطره الدكتور **لويس يونج** فى مقدمة كتابه : **العرب واوروبا** ، لكفيل باعطاء فكرة معقولة عن محتوى هذا الكتاب .

يقول لويس يونج : « قصة التفاعل بين حضارتى العرب وأوروبا معقدة وشائكة وطويلة : وهى اذ تبدو قصة فتوحات واعادة فتوحات ، فانها تأخذ أحيانا أشكال مبادلات ثقافية متناوبة ، أخذا وعطاء .

ونحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وافريقيا تتمثلان أوروبا قدوة لهما، **يجب الا ننسى الوجه الآخر للصورة فى العصور الوسطى ، عندما عكفت أوروبا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة ، واستمر ذلك لفترة طويلة.** حتى اذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية ، **وفى القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم ، ثم بترولهم فى القرن العشرين .**

وعلى الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكرى واللا تسامح الدينى ، على النقيض من المسلمين ، فانها ظلت ترفض الاعتراف بما

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٣٦٩ ـ ٣٧٤ ؛ ٣٩٣ـ٣٩٨ [كان من الأفضل أن يكون عنوان هذا الكتاب : شمس الله تسطع على الغرب . حيث انه فى أصله الألمانى :

[ALLAHS SONNE UBER DEM ABENDLAND

للعرب من يد طولى على حضارتها ، وتتجاهل دورهم الحضارى وتقلل من شـأنه .

لقد هول المؤرخون الأوربيون فى وصفهم الفتوحات الاسـلامية فى أوروبا خـلال العصـور الوسـطى ومدى تهديدها للدين المسيحى ، **بينما تغافلوا عن ظاهرة انتكاس الحضارة فى البلدان التى أجلى العرب عنها . وما اسبانيا والبرتغال وصقلية الا أمثلة لذلك .**

ففى أسبانيا يسود التعصب الدينى وتعذيب الحيوانات كمشـهد مألوف . وفى البرتغال أعلى نسبة للأمية فى أوروبا ، وفى صقلية عصابة المـافيا السيئة السمعة .

ما الذى تركته حضارة العرب والمسلمين فى أوروبا ؟

لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ، ابتداء بالفولكلور ، كراقصى الموريش الانكليز الذين هم فى الحقيقة قناع لراقصى البربر ، وانتهاء بالعلوم حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل : السمت ، وسمت الرأس . وهناك فى خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب : كالزركلى والبتانى وأبى الفداء .

ان اشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الاسلامية، منهـا نظرة العرب المتسـامحة وعـدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون .

وسوف أحاول فى الصفحات التاليـة أن أقدم الخطوط العريضـة للتاريخ العربى والمجتمع الاسلامى ، وما أرسـاه العرب من أسس أولا . كما سأشير ، ثانيا ، الى أهم الطرق والأساليب التى أثرت بواسـطتها حضارة العرب فى الحضارة الأوروبية ، وكيف أثرت أوروبا بدورها فى الحضارة العربية »[1] .

*

(١) العرب وأوروبا : ص ٩ ـ ١٠

ويحدثنا موريس لومبار فى كتابه « الاسلام فى فجر عظمته » عن تأثير الفتوحات الاسلامية على تحضير الغرب وانطلاقه نحو الحضارة ، فيقول :

« لم يترافق الفتح بالتخريب مطلقا ، فلم تحرق المدن ولم تنهب .. وبالنسبة للقسم الغربى ، فكان تجددا حقيقيا ..

اننا نعتقد بالواقع أن الغرب استأنف النماس بالحضارات الشرقيه ، وعبرها بالحركات العالمية الكبرى للتجارة والثقافة ، بفضل الفتح الاسلامى . وفى حين أن الغزوات البربرية الكبرى فى القرنين الرابع والخامس أدت الى التقهقر الاقتصادى للغرب ، فقد جلب قيام الامبراطورية الاسلامية الجديدة لهذا الغرب نفسه تطورا مدهشا .

واذا كانت الغزوات الجرمانية قد عجلت بانحطاط الغرب ، فان الفتوحات الاسلامية كانت حافزا على انطلاق حضارته »(١) .

❋

وهكذا يعترف أهل العلم والفضل من مختلف شعوب أوروبا ، كالالمان والانجليز والفرنسيين ، بفضل حضارة الاسلام وأثرها فى بناء الحضارة الأوربية الحديثة . وهو فضل لا ينكره الا جاهل أو متعصب .

❋ ❋

● **تحرير النساء :**

تقول **سيجريد هونكه** : « ان الحلى التى يقدمها الأوروبى لحبيبته أو لزوجة صديقه أو رئيسه ، سواء أكانت ماسا أصليا أو زجاجا مصقولا ، هى عادة استوردت من الشرق ويمارسها الناس كل يوم ولا يعرفون لها مصدرا . وتمر السنون ، والحلى تلك ما زالت تتنوع

---

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ١٢

وتتغير ، ولكنها لم تفقد قوتها السحرية فى جذب قلوب الساء حتى ولو كنا نعيش فى القرن العشرين ..

وقد تعارض هذا الاتجاه العربى فى تكريم المراة ايضا مع ما كان سائدا فى دول البحر الأبيض ..

وعارض الكتاب المقدس أيضا ذلك المسلك العربى ، ونص على أن الرجل سيد المراة ، ونشطت الكنيسة تحارب كل الأفكار المخالفة ، وتعمل كل ما فى وسعها لابقاء المراة تحت سيطرة الرجل ، تبعا لمشيئة الرب.

وعلى الرغم من هذا ، فقد قاوم العرب كل التيارات المعادية واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة ، وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكا ..

ولكن ، أو ليس هذا نوعا من المبالغة ؟ وهل يعقل هذا الكلام ؟! ثم ألم تعش نساء العرب منذ زمن بعيد مقيدات مظلومات لا يتمتعن بحقوقهن ؟ ألم نسمع بالحريم كالسجن يملك فيه الرجل عددا كبيرا منهن ويقيم عليهن الحراس ؟ ألم تسمع بنساء يزوجن دون أن يستشرن ؟ وتكفى بضع كلمات يتفوه بها الرجل وقتما شاء لتصبح المرأة طالقا تعود الى عائلتها دون أى ذنب ، والدين لا يمنع هذا ؟ ...

اين هى الحقيقة فى كل هذا ؟ وما هو مركز المراة فى المجتمع ؟ ...

الم تكن خديجة زوج النبى الأولى ، التى عاش معها اربعة وعشرين عاما وانجب منها ستة اطفال ، ارملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة فى مجتمعها ؟ لقد كانت خديجة نموذجا لشريفات العرب ، أجاز لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما .

وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات فى المساجد ويفسرن احكام الدين . فكانت السيدة ننهى دراستها

على يد كبار العلماء ، ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هى بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشيخة . كما لمعت بينهن أديبات وشاعرات ، والناس لا ترى فى ذلك غضاضة أو خروجا على التقاليد .

ان النساء فى صدر الاسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات ، ولكن هل دام هـذا طويلا ؟

لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشـمال فغيرت الأوضاع ، وقـدم الحريم والحجاب مع الجاريات الفارسـيات واليونانيات اللاتى كن محظيات للخلفاء وأمهات لأولادهم ..

والاسلام برىء من كل ما حدث ، والرسـول لم يأمر قط بحجب النساء عن المجتمع . لقد امر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء بأن يغضوا الطرف ، وأن يحافظوا على اعراضهم . وامر النساء بالا تظهرن من اجسادهن الا ما لا بد من ظهوره ، والا يظهرن محاسن اجسادهن الا فى حضرة ازواجهن ..

لقد شرعت القصور تعزل النسـاء فى الحريم على غرار ما تعوده الفرس ، وبدأ استيراد الخصيان لخدمتهن كما كان عليه الحال فى بيزنطة قديما . وأصبح حجب النسـاء عن المجتمـع وعدم مغادرتهن لبيوتهن مظهرا من مظاهر الأبهة والثراء »[1] .

* *

● **وتحرير الشـعوب :**

يقول **موريس لومبار** فى حديثه عن الفتوحات الاسلامية : « كيف يمكن شرح سهولة الفتح وسرعته ، خاصة اذا نفذ بعدد قليل جـدا من الفاتحين ؟

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٤٦٧ ــ ٤٧١

لقد كان للعرب فى حقيقة الأمر كل الفرص الموانيــة **ليستقبلوا كمحررين من قبل السكان القدماء** للعالم الســامى فى ســوريا وما بين النهرين ومصر • ففضلا عن القرابة العرقية واللغوية التى تربط بعضــا من هذه الشعوب بالعرب ، فانها كانت تخضع منذ زمن طويل الى روما ثم بيزنطــة فى الغرب ، والى الامبراطورية الفارســية الساســانية فى الشرق • لقد كانت هذه الشعوب بحالة انتفاضــة دائمة ضــد ادارة القسطنطينية والمدائن •

وكانت هذه الانتفاضة كما هى العادة فى الشرق دينية فى ظاهرها ، بينما هى فى حقيقتها ذات أســاس اجتمــاعى • كان الملك البيزنطى مزعزعا بصراع الهرطقات ، فالنسطورية واليعقوبيــة على الخصــوص تتعارضان مع الأرثوذكسية الحاكمة •

وفى ظل الدولة الساسانية ، تطورت المانوية والمسيحية واليهودية ، وكلها معتقدات ضد الدين الرسمى أى المزدكية •

وفى منازع الاسلام الى الديمقراطية ، ودعوته الى المساواة ، وعالمية رسالته ، وجدت حركات الثورة الاجتماعية والدينية جوابا على مطالبها ، ومن هنــا أتت ــ جزئيا على الأقل ــ ســهولة الفتح • ودفع التطلع الى النظام والسلام سكان المدن ايضا لأن ينضموا الى الفاتح الذى كانوا ينتظرون منه حماية ضد الفوضى والنهب ••

ومما سهل العلاقات مع سكان البلاد المفتوحة فى كل الحالات ، تسامح الفاتحين ، وبعــدهم عن التعصب الدينى •• وهكذا فلا اكراه ولا اضطهاد ، بل كان مطلبهم الوحيد هو النظام الضريبى •• كان الفتح سريعا جدا حتى انه تم دون فواصل أو انقطاع »[1] •

❋

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ٩ ــ ١٠

ويقول الدكتور **فيليب حتى** « لو قام فى الثلث الأول من القرن السابع الميلادى أحد وتكهن بأن دولة خامدة الذكر وضيعة الجانب ، تخـرج من مجـاهل جزيرة العرب ، ثم تنقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين ، فتقوض الدولة الواحـدة ـ دولة آل ساسان ـ وتظفر بأملاكها ، ثم تقطع من ولايات الثانية ـ بيزنطة ـ أزهى مقاطعاتهـا ، **نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم انسان ذلك العصر لحكم عليه بالجنـون .**

والواقع ان هذا ما حدث فعلا ، . فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدباء ، وأخذت تنشىء أبطالا يندر وجود من يشاركهم فى أى صقع كان ، **فكأن أعجوبة حلت فيها ..**

ان عظمة الجيش العربى لم تقم على قوة السلاح أو جودة التنظيم ، **بل كان ثمرة القوة المعنوية الروحية التى كان الايمان والدين عززاهـا فى نفسـه ..**

لقد جاء الاسلام مهيبا بالشرق الى النهوض من كبوته ، بعد ألف سنة اجتاحته فيها سطوة الغريب .. **ولقد انفتح أمام الأمم المغلوبة باب الحرية ، فصاروا يمارسون عقائد أديانهم دون ازعاج »(١) .**

*

ويقول **جوزيف رينو** فى كتـابه « **الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا** » كوسيلة من وسائل نقل الحضارة » : « عندما استقر المسلمون فى القرن التاسع الميلادى فى بروفانس وفى دوفينى وسافواى ، وفى سـويسرا ، **كانوا قد قطعوا اشواطا فى العلوم والفنون ، ويتقدمون بطريقة عجيبة . ومما لا جدال فيه ان مسلمى الأندلس وصقلية ، ومسلمى افريقيا الشمالية ، كانوا اكثر تقدما من سكان فرنسا والبلدان المجاورة ، حيث كانت هذه البلدان كلها تعانى من الفوضى ومن كل أنواع البؤس التى تلازمها .**

---

(١) تاريخ العرب : تأليف الدكتور فيليب حتى وآخرين ـ جـامعة برنستون ـ ص ١٩٣ ، ٢٣١

فمن ذا الذى لم يسمع بعظمة مسجد قرطبة ، ومن ذا الذى يجهل ما شيده المسلمون من الجسور ، وما شقوه من الأنهار والقنوات لرى الأرض ، وما شيدوه من الآثار العظيمة فى الأندلس ابتداء من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى ؟!

وعظمة المسلمين وتفوقهم لا تتجلى فى الفنون وحدها ، حيث ان عبقريتهم قد برزت فى العلوم أيضا ـ العلوم التى لا يمكن ان تقوم دعائم حضارة بدونها . فقد كان العرب يملكون ذخائر علوم الأولين وكنوزهم ، وكانوا قد ترجموا الى العربية كتب أرسطو وأبقراط. وجالينوس ودسقوريدس وبطليموس وغيرهم ، وأضافوا مساهمات ثمينة الى ما اكتشفه الأولون .

وهكذا ، فقد كان تفوق العرب حقيقة لا مراء فيها ، ويعترف بها المسيحيون أنفسهم .

وقد حفظ لنا التاريخ قصة شانجة (Sanche) **ملك ليون** الذى طلب اذنا من **عبد الرحمن الثالث** ، عندما أصيب بمض عضال فى سنة ٩٦٠ م ، ليقصد قرطبة ملتمسا الاستشفاء على يد الأطباء المسلمين . ويضيف المؤرخون أن شانجة قد وجد عند هؤلاء العناية ، وفى علمهم المساعدة التى كان ينشدها . وقد ظل طوال حياته يذكر الحفاوة التى قوبل بها والاهتمام الذى أحيط به .

وفى غضون تلك الفترة نفسها ، كان **قسيس اسمه جيربر** (Gerbert) قدر له أن يصبح **البابا سيلفستر الثانى** (Sylvester) قد قصد الى الأندلس ليطلب العلوم الطبيعية والرياضية . وقد حصل من تلك العلوم وغيرها حظا عظيما ، **بحيث اعتبرته عامة الناس فى فرنسا ساحرا .**

على أن عددا صغيرا من الفرنسيين استطاع الاغتراف من معين الثقافة والعلوم العربية فى الأندلس ، **فى الوقت الذى ظلت فيه الجماهير غارقة فى ظلمات الجهالة فى فرنسا ..**

ان نشر النفوذ الحضارى العربى الحقيقى فى فرنسا والبلاد المجاورة لها ، فقد بدأ بعد ذلك ، أى ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ، ولا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية ، وبعد الاحتكاك الذى وقع بين الاسلام والمسيحية ، والشعوب الشرقية والشعوب الغربية التى من بينها الشعوب الفرنسية والانجليزية والألمانية ـ تلك الشعوب التى بدات تخرج من سباتها العميق ، وشرعت فى ابداء رغبتها فى الاستفادة مما حققته الحضارة العربية من التقدم .

كانت العلوم اليونانية فى ذلك الوقت قد انمحت من أوروبا ، ولكنها كانت مترجمة ومحفوظة عند العرب . وكذلك اتجه المسيحيون من فرنسا والبلدان المجاورة لها الى أسبانيا ليتعلموا تلك العلوم بالعربية ، لينقلوها الى اللغة اللاتينية التى كانت يومئذ لغة العلم فى أوروبا . وهذه الكتب المترجمة هى التى ستدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الخامس عشر ..

سوف لا نتوقف لدرس مختلف الأشياء المحفوظة بعناية فى فرنسا والتى يرجع تاريخها الى العهد العربى . وهذه الآثار تتكون ، خصوصا ، من أقمشة الحرير ، وصناديق العاج أو الفضة ، وكؤوس البللور وأسلحة ... الخ . وجزء كبير من هذه التحف لا يزال محفوظا فى الكنائس ولدى الهواة لجمع التحف الأثرية ..

وقد قيل ان القمح الأسود الذى يسمى قمح السارازين ، والذى يمثل فى القرن التاسع أهم المنتجات الزراعية فى فرنسا ، هو من أصل فارسى ، وقد انتقل من هناك الى مصر ، وسار مع الفاتحين على طول شواطىء افريقيا الشمالية ، قبل أن يعبر مضيق جبل طارق الى الأندلس ، ويصل من هناك الى فرنسا ..

ويعزى الى العرب الذين استقروا فى بروفانس استغلال شجر البلوط فى الغابة الكثيفة التى احتفظت بعدهم باسم : غابة المغاربة

(La Forêt des Maures) . وشجر البلوط كان يربى فى كتالونية منذ وقت طويل ، ويمثل فى الوقت الحاضر الثروة الأساسية للبلد .

وكذلك كان العرب يستخرجون القطران من أشجار الصنوبر والأرز ، ويحول الى زفت يجلفطون به المراكب . **ولهذا السبب ، فان سكان بروفانس لا يسمون الزفت : جودرون** (Goudron) **، بل يسمونه : قطران** (Guitra) **، وهى كلمة عربية .**

كذلك يعزى الى العرب تحسين سلالة الخيول فى جنوب فرنسا ، ولا سيما فى مقاطعة كمارج (Camargue) ، وذلك بتهجين الخيول المحلية بخيول الأندلس ..

لقد ظل الناس فى فرنسا والبلدان المجاورة لها ، اجيالا طويلة ، وهم لا يفكرون الا فى عظمة الفكر الاسلامى ، وفى قوة المسلمين واتساع آفاق فتوحاتهم ..

وكذلك كان الرأى العام يعزو الى العرب كل ما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية ..

لقد جاء المسلمون الى فرنسا قبل النورمانديين والهنغاريين ، وقد استمر وجودهم فيها ، بعد غارات هؤلاء وأولئك . **والفتوحات الاسلامية كانت تكتسى طابعا من الجلال والعظمة بحيث لا يمكن أن يقرأ انسان اخبارها اذ يسمع رواياتها دون أن تهتز نفسه لها . فعلى عكس النورمانديين والهنغاريين ، كان المسلمون ، اجيالا طويلة ، فى طليعة قافلة الحضارة فى العالم »(1) .**

*

لقد ذكر **جوزيف رينو** ما ذكره الناس فى فرنسا عن **البابا سلفستر الثانى** ، الذى درس العلوم الطبيعية والرياضية على يد المسلمين فى

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٥١ ــ ٢٥٦ ؛ ٢٦٤ ــ ٢٦٥

الأندلس ، اذ اعتبروه ساحرا ، وخاصة عندما كان يدهشهم بتجاربه فى الكيمياء والفيزياء .

أما **اويس يونج** ، فانه يعطى تفصيلا عن الفكر الأوروبى فى ذلك الوقت ، والذى استمر حتى القرن السابع عشر ، لا يملك الا أن يعزو كل ما كان يجهله الى الشيطان وألاعيبه . وما جنون ظاهرة تعقب النساء المتشيطنات ببعيد .

يقول **يونج** : « لقد أغنى الرياضيون العرب العالم بالمعرفة فى جميع المجالات ، وبخاصة الأفكار والملاحظات الرياضية .

وأحد أوائل الأوربيين الذى أخذوا بالأرقام العربية كان **جربرت** ، الذى أصبح فيما بعد (فى عام ٩٩٩ م) **البابا سيلفستر الثانى** (ولد ٩٤٥ ــ وتوفى١٠٠٣م) . سافر جربرت هذا بين عامى (٩٦٧ ــ ٩٧٠م) الى أسبانيا ، حيث درس العلوم ، وألف بعد ذلك كتابا يشرح فيه كيفية استخدام الأرقام العربية .

الا أن أوروبا لم تلق بالا الى هذا النظام الجديد . بل كان ينظر الى جربرت بعين الشك ، لأنه درس على يد العرب فى أسبانيا ، وعلى المستوى الشعبى كان يشك فى أنه يمارس السحر .

ولقد رويت عنه كثير من الروايات الخارقة . فقيل انه كان يغادر الدير ليلا ، ويطير فى الهواء الى أسبانيا حيث يدرس الفلك والفنون السحرية ، ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر .

كما كان يظن بانه تعلم احضار الأرواح من جهنم ، وانه يحتفظ بكتاب سحر حصل عليه بالمكر والخديعة من ساحر عجوز ، وانه رهن روحه للشيطان لكى يحميه من انتقام هذا الساحر العجوز .

وبعد فترة طويلة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية ، نتيجة

أعمال ليوناردو فيبوناتشى من بيزا ، الذى توفى عام ١٢٤٠ م . وكان فيبـــوناتشى رياضـــيا ، **درس الرياضيات على يد معلم عربى ، فى شمال افريقيا** ، وأصدر كتابا يشرح فيه نظام الأرقام العربية عام١٢٠٢م ، وكان ذلك بداية تبنى أوروبا للأرقام العربية ، وبداية لعلم الرياضيات الأوروبى »[1] .

*

اما بعـــد ...

لقد علم المسيح بنى اسرائيل أن يبحثوا بوعى وتبصر ما فى بطون الكتب ، فستجدون فيها شهادات وتنبؤات ، اذ قال : « **فتشوا الكتب** ـ انجيل يوحنا ٥ : ٣٩ » .

وهذا الذى يراه الناظر فى التاريخ القديم ، يثير العجب والانبهار حقا ، حين يطل خلال تلك الحقبة من الزمن ، فيرى أبناء الصحراء وقد خرجوا الى العـالم ، شرقا وغربا ، يعلنون : لا اله الا الله ، ويقيمون حضارة زاهرة تشع أنوارها هنا وهناك ، فينهل منها الظامئون الى العلم والايمان ، ويصد عنها الآخرون : « **استكبارا فى الأرض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله** » (فاطر : ٤٣) .

وفى هؤلاء لأخيرين ، قال مفكر مسيحى هو الدكتور نظمى لوقا قولة حق ، وحكمة ترددها الألسنة عبر القرون :

من يغلق عينيه دون النور ، يضير عينيه ولا يضير النور .

ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضير عقله وضميره ولا يضير الحـق .

فالنور منيفة للرائى لا للمصباح ، والحق منفعة واحسان الى المهتدى بـه لا الى الهـادى اليه .

---

(١) العرب واوروبا : ص ١٢٥

وما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذى يفرض على أذهان أصحابه وسراؤهم ما هو أسوأ من العمى لذى البصر ، ومن الصمم لذى السمع . لأن الأعمى قد يبقى بعد فقدان البصر انسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقدان السمع انسانا ... أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من الطيب ، فذلك ليس بانسان ، بالمعنى المقصود من كلمة انسان »[1] .

وحين نفتش أسفار **الكتاب المقدس** ، **نجد أن** هذا الذى طلع به أبناء الصحراء على العالم ، **انما كان تحقيقا لنبوءة هتف بها اشعيا النبى فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد** ـ وخاصة فى الاصحاح الثانى والأربعين من السفر الذى يحمل اسمه ، فقال فى النبى العربى وقومه وتابعيه :

١ ـ يشتهر هذا النبى المنتظر بلقب : عبد الله ورسوله : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » .

وقد اشتهر محمد نبى الاسلام بأنه : عبد الله ورسوله ، فتلك بداية الاسلام لكل مؤمن ، يعرفها الصغير قبل الكبير ، ويرددها المسلم كل يوم فى صلاته المكتوبة تسع مرات على الأقل حين يقرأ التشهد ، اضافة لما يقوله فى صلواته الأخرى من السنن والنوافل.

والحق يقول فى القرآن :

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾
(الكهف : ١)

﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾
(البقرة : ٢٣)

---

(١) محمد الرسالة والرسول : ص ٢٥

ومما يندى له الجبين خزيا وأسى ، تلك المقولات الكاذبة التى ظلت ترددها الكنيسة طوال القرون الوسطى ، ولا يزال صداها يتردد الى الآن ، وهو أن المسلمين يعبدون محمدا ... أى جهل أحمق من هذا ؟!

لكنه التزوير المتعمد ، وطمس الحقائق عن عيون الشعوب ، حتى لا يفيقوا ذات يوم ويميزون الخبيث من الطيب .

يقول **جوزيف رينو** عن جهل الفكر الأوروبى والخرافات التى امتلأت بها عقول الأوروبيين ، فى القرون الوسطى ، عن الاسلام والمسلمين :

« ان الكتاب المسيحيين فى العصور الوسطى كانوا يطلقون على جميع فئات الغزاة المسلمين اسم : **الوثنيين** . وهذه عقيدة أبعد عن الوثنية من الاسلام الذى حطم الأصنام .

والواقع أن الاسلام ينادى بعباده اله واحد لا شريك له ، خالق السموات والأرض . ولشدة استفظاع الاسلام للوثنية ، فانه يمنع تصوير كل ما هو حى ..

وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب الى **رئيس اساقفة تورين** ، أنه يوجد فى الأندلس على شاطىء البحر ، فوق عمود شديد الارتفاع ، **صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه ، ويعبده المسلمون !**

كذلك ادعى **فيلومين** فى تاريخه القصصى حول غزوة شارلمان لمقاطعة لانجدوك ، أنه **كان يوجد تمثال لمحمد مصنوع من فضة مذهبة فى مدينة أربونة** ، وضع فى معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه المدينة ..

وقد جاء فى القصيدة الفرنسية التى تروى أعمال البطولة التى قام بها رولان ، أن سكان سرقسطة المسلمين **وقع اختيارهم على مغارة لتكون معبد آلهتهم** ، وأنهم نصبوا فى هذه المغارة تمثالا من الذهب

فى يده صولجان وعلى رأسه تاج . وادعى الكاتب أن المسلمين يجتمعون فى هذه المغارة حينما يريدون أن يطلبوا رضا الله .

واسم تيرفاجنت الذى يحرف أحيانا الى تيرماجنت ، يتردد كثيرا مع اسم أبولين ، فى الروايات الخيالية الفرنسية القديمة وفى غيرها من كتب الأدب . وهذه الاسماء يدعى انها آلهة اسلامية . وهذه الادعاءات والمزاعم تكثر ، خصوصا ، فى مسرحية سانت نيكولاس التى تحتوى على تمثال نصفى متوج أطلق عليه اسم محمد .

فيالسخرية القدر ، والجهل الأعمى بالاسلام ! فان هؤلاء الكتاب والأدباء يجهلون أنه عندما فتح **محمود الغزنوى** الهند فى سنة ١٠٢٥ م (٤١٦ هـ) ، حطم جميع أصنام الهند الكثيرة فيما عدا صنم واحد عرض عليه السكان شراءه بوزنه ذهبا ، ورفض عرضهم مفضلا وضعه عند عتبة باب العاصمة الرئيسى ، لكى يدوس عليه ويبصق عليه كل داخل الى العاصمة وكل خارج منها .

ما هو السبب الذى دفع آباءنا الى هذا الوهم والخطأ ، يا ترى ؟

ذهب بعض العلماء الى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية ، كانوا ضمن الشعوب التى كان يشملها اسم : **سارازين** ، وبالتالى ، فان موطن أسماء مثل : تيرفاجنت وأبولين وغيرها هى البلاد الشمالية . الذين كانوا يعبدون الأوثان .

وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة »(١).

*

ولنكمل الآن ، استعراض نبوءة أشعياء ، فنجدها تقول :

٢ ــ يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده: « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

ولقد وعد الله نبى الاسلام أن يتم الأمر الذى جاء به ، فقال :

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٢١ ــ ٢٢٣

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣٢) .

ولقد أكمل الله الدين فى حياة النبى حتى اذا توفاه الله ترك الأمة الاسلامية على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . لقد اكتمل الدين ونزل القرآن يقول :

﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣)

*

٣ ــ يعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا : « **انا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم** » .

ولقد طمأن الله نبى الاسلام ألا يلتفت الى مؤامرات الكائدين له ، فالله عاصمه من الناس حتى يبلغ الأمر غايته . ولقد نزل القرآن ليعلن هذا التحدى على رؤوس الأشهاد :

﴿ يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ﴾ (المائدة : ٦٧)

٤ ــ ينتسب النبى الى اسماعيل بن ابراهيم : « **لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار** » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لاسماعيل (تكوين ٢٥ : ١٣) .

*

٥ ــ الشعب الذى ظهر فيه عبدة أوثان ، أصحاب أصنام : « **يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا** » .

٦ ـ رجل حروب مقدام ينتصر على اعدائه : « **الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه** » .

ولقد سجل القرآن المعارك الكبرى فى الاسلام وكان النبى هو القائد والمخطط والمحارب حين البأس :

﴿**واذ غدوت من اهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم**﴾ (آل عمران : ١٢١) .

﴿ **فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** ﴾ (النساء : ٨٤)

ان هذا أمر اختص به أولوا العزم من الأنبياء والمجاهدين . ولقد كان ذلك أمر موسى بعد أن خرج ببنى اسرائيل من مصر ، وانتهت مرحلة فى جهاده وبدأت مرحلة أخرى ، فآنذاك « كلم الرب موسى فى برية سيناء .. فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : احصوا كل جماعة بنى اسرائيل .. من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب فى اسرائيل ، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكون معكما رجل لكل سبط ، هو رأس لبيت آبائه » .

وجدير بالذكر أن **رجل الحرب** من الأسماء الحسنى التى تنسبها التوراة لله . فقد قال موسى وبنو اسرائيل فى تسبيحة لله شكرا بعد نجاتهم من مطاردة فرعون وجنوده ، وغرق الأخيرين :

« هذا الهى فأمجده .. **الرب رجل الحرب . الرب اسمه** ـ خروج ١٥ : ٢ ـ ٣ » .

*

٧ ـ فى مناسك دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير : « من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » .

لقد بنى الاسلام على خمسة أعمدة خامسها الحج ، وفيه يعقد أكبر مؤتمر دينى عالمى سنويا بجبل عرفات ، وقد جعلت الوقفة بهذا الجبل ركن الحج الركين ، اذ قال نبى الاسلام : « **الحج عرفة** » . فهناك يهتف **الحجاج لله فوق جبال عرفات** ويسبحون ويكبرون ويهللون ويتضرعون بالدعوات وصالح العبادات ، وما أعظمه من نسك .

وفى الحج ـ يتجرد الانسان عن زخرف الحياة ومتعها ، اذ يحرم عليه ممارسة بعض ما اعتاده فى حياته الزوجية الصالحة مثل العلاقة الجنسية ، والتحلى بأفخر الثياب ، وعوامل الصخب والاثارة .

هناك يواجه الانسان الحقيقة بين يدى خالقه فيأتى هذه التجربة العظيمة طوعا فى الدنيا قبل أن يأتيها كرها فى الآخرة ، فآنذاك لا ينفع الندم ولا تجدى الحسرات .

﴿ الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الالباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾

(البقرة : ١٩٧ ، ١٩٨)

❊

٨ ـ الشعب الذى ظهر فيه كان متخلفا ضعيفا طعمة لكل آكل : « شعب منهوب ومسلوب ، وقد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختباوا . صاروا نهبا ، ولا منقذ . وسلبا ، وليس يقول رد » .

ويقول القرآن : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (الجمعة : ٢ — ٤) .

*

٩ — ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة .

السير العمى فى طريق لم يعرفوها . فى مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة امامهم نورا والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور افعلها ولا اتركهم » .

ويقول القرآن : « الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم : ١)

« فاتقوا الله يا اولى الألباب الذين آمنوا ، قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور » (الطلاق : ١٠ — ١١) .

ان تجربة الاسلام فى عرب الجزيرة العربية نموذج فريد فى التاريخ. وأذكر فى هذا المقام مقالة للمؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى قال فيها : لكى ندرك ما فعله الاسلام بالعرب — بمقاييس العصر — تتصور دولة فى حجم كوبا تظهر فجأة ، ثم تستولى على نصف الولايات المتحدة الأمريكية وتخضع لها روسيا بأكملها .

ومن الواضح أن توينبى ضرب المثل بهاتين الدولتين الكبيرتين باعتبارهما القوتين الأعظم فى النصف الثانى من القرن العشرين ،

ويناظرهما فى القرن السابع الميلادى : الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية على الترتيب .

*

١٠ ــ هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله :« **الرب قد سر من اجل بره ، يعظم الشريعة ويكرمها** » .

ان بر نبى الاسلام ورحمته بالناس جميعا أمر يشهد به الجميع حتى من غير المسلمين ، ومنهم عتاة تطاولوا على الاسلام ونبيه . **ولقد حدث أن مرت جنازة يهودى فوقف النبى ﷺ تكريما للأخوة الانسانية** ، فذا ببعض الصحابة يقول له : انها ليهودى ــ وقد علم ما أصاب النبى والمسلمين من آذى على يد اليهود تمثل فى مؤمرات وفتن وحرب نفسية وحروب دموية ــ فأمسك عليه النبى اعتراضه قائلا : **أليست نفسا ؟!** وصدق الله : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (الأنبياء : ١٠٧) .

* *

ولنراجع الآن نبوءة أشعيا هذه ، فنجدها تتعلق بثلاثة عناصر رئيسيه هى : **النبى المنتظر ، والشعب الذى ظهر فيه ، والدين الذى جاء به** . فلهذا النبى شريعة تنتظرها الجزائر ، وهذا بالتأكيد يعنى شريعة جديدة غير شريعة موسى . بل ان هذا ما تنبأ به أشعيا فى موضع آخر من سفره ، اذ يقول وحى الرب على لسانه :

« **شريعة من عندى تخرج** ، وحقى أثبته نورا للشعوب . . **ايای ترجو الجزائر** ، وتنتظر ذراعى ــ اشعيا ٥١ : ٤ ــ ٥ » .

واذا جمعنا الأوصاف العامة والملامح الرئيسية لكل عنصر من عناصر نبوءة اشعيا ، وقرأناها معا لجاءت كالآتى :

عن النبى المنتظر :

يشتهر بلقب عبد الله ورسوله ــ وينتسب الى اسماعيل بن ابراهيم ــ

ويعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته ، فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا ــ وهو رجل حرب مقدام ، ينتصر على أعدائه ــ ثم هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله فى كل صورها .

❊

... وعن الشعب الذى ظهر فيه :

عبده أصنام . وأصحاب أوثان ــ وكانوا شعبا متخلفا ضعيفا ، طعمة لكل آكل ــ ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور .

❊

... وعن الدين الذى جاء به :

يسود الدين ، وتكتمل الشريعة التى جاء بها ، فى عهده لا من بعده ــ وهو دين من مناسكه : هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير . وهذا ما يحدث فى الحج الى بيت الله الحرام بمكة كل عام .

❊

واذا استعرضنا خصائص الأنبياء منذ نطق اشعيا بهذه النبوءة فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد : حتى مطلع القرن السابع بعد الميلاد ، وما وجدناها تنطبق تماما الا على محمد رسول الله .

❊

من أجل ذلك سار أبناء اسماعيل ــ بعد نبوة أكرم سلالته محمد بن عبد الله ــ هم والذين ﴿ **آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه** ﴾ [1] ، يعلنون دين الله الى العالم كله : شرقا حتى الصين . وغربا حتى الأطلسى ، وشمالا حتى أوروبا . وصدقت فيهم نبوءة اشعيا حرفيا ، اذ يقول الرب :

---

(١) الأعراف : ١٥٧

(أسير العمى فى طريق لم يعرفوها • فى مسالك لم يدروها أمشيهم• أجعل الظلمة أمامهم نـورا ، والمعوجات مستقيمة • هـذه الأمـور أفعلهـا ، ولا أتركهم) •

لقد كان هذا ما نطقت به أسفار العهد القديم ، وحسب المعتقدات المسيحية :**(لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب) ، (ويتم ما قيل باشعيا النبى)** •

فلا بد ، اذن ، أن تتحقق كل التنبؤات •

* *

ونختم الحديث عن الفتوحات الاسلامية وأثرها فى تحرير شعوب ، واقامة حضارات ، باطلالة لمؤرخ مصرى معاصر هو **الدكتور عبد العظيم رمضان** يعرض فيهـا رؤيته لحركة التاريخ وحكمتها وانعكاساتها ، خلال فترات مختلفة ، فيقول :

« من المفارقات التاريخية ان الغزو الذى تعرضت له بعض الأمم قد خدمها باكثر مما كان ان يخدمها تفادى الغزو ! والعكس بالعكس ، فان كثيرا من الأمم قد خسرت بسبب تفادى الغزو ما لم تكن لتخسره لو تعرضت له •

وعلى سبيل المثال : فان نجاح القبـائل الجرمانية فى العصـور القديمة فى ابادة ثلاث فرق رومانية وتحرير بلادها من الحكم الرومانى فى عام ٩ قبل الميلاد ، لم يكن فى مصلحة ألمـانيا ! فقد قررت رومـا التخلى عن خطة جعل حدود الامبراطورية عند نهر الب ، وجعلتها عند نهر الراين الذى أصـبح فاصـلا بين الأراضى الفرنسـية والأراضى الألمـانية ، وبذلك حرمت ألمـانيا من التمتع بالحضارة الرومانية والطرق الرومانية الشهيرة ، واستسلمت للبربرية قرونا عديدة !

وعلى العكس من ذلك ، فـان دخول الجيوش المصرية اليمن ،

وتعزيزها الثوار ضد حكم الامامة الرجعى الفاسد ، قد نقل اليمنيين من العصور الوسطى الى العصر الحديث • ولو نجحت القبائل اليمنية فى اخماد الثورة ، وأعادت حكم الامامة ، لاستسلمت للتخلف كما استسلمت القبائل الجرمانية تماما ، لعدد لا يعرف من عقود السنين !

وهذا ينطبق على مصر أيضا ، فلو أنها نجحت فى ابادة الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بونابرت على مصر ، لكانت كارثة كبرى ــ ليس على الحملة الفرنسية وانما على مصر ! **فبالنسبة للحملة** الفرنسية ذاتها ، فلم تمكث فى مصر أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها ــ بالنسبة لمصر ــ أنهت العزلة الطويلة التى عاشتها بعيدة عن الغرب ، والتى أبعدتها عن الحضارة الغربية الحديثة •

وقد كان دخول آلة الطباعة مع الحملة الفرنسية لأول مرة ، هو رمز انتهاء تلك العزلة • فحتى وصول الفرنسيين الى الاسكندرية ، لم يكن قد طبع فى مصر سطر واحد ، وبالتالى لم تكن قد عرفت بعد الصحافة ، ولم تكن قد عرفت المطبوعات فى مجال العلوم والفنون والآداب ، وبالتالى أيضا لم تكن قد أطلت بعد على الحضارة الغربية ، وانتهلت من مواردها ، ولكن هذا انتهى مع مجىء الحملة الفرنسية •

وفى الوقت نفسه لم تكن مصر قد عرفت بعد كنوزها القديمة وآثارها الفرعونية ، فلم تكن تعرف من قيمة لتلك الأحجار المنقوش عليها الكتابات المصرية القديمة أية فائدة أو قيمة ــ اللهم الا فيما عدا احتمال استخدام أصلبها للبناء ! كما لم تكن تعرف أية فائدة أو قيمة للفائف البردى أو صناديق المومياوات • وكانت جميع النقوش والكتابات الهيروغليفية بالنسبة لها طلاسم ومعميات ، لا تعنى نفسها بمحاولة فهمها ، وبالتالى لم يكن المصريون حتى ذلك الحين يعرفون شيئا عن تاريخ مصر القديمة وديانتها وعاداتها وتقاليدها •

ولكن هذا كله عرفته مصر على يد الحملة الفرنسية ، بفضل

(**لجنة العلوم والفنون**) التى جلبها برنابرت معه من فرنسا ، والتى ضمت ١٦٥ عالما من علماء الهندسة ومساحة الأراضى ورسم الخرائط وفن المعمار والنبات والحيوان والطب والصيدلة والكيمياء والمعادن ، فضلا عن علماء الرياضة وعلم طبقات الأرض والكتاب والموسيقيين • ومن هذه اللجنة تكون (**المجمع المصرى**) الذى قسم نفسه الى أربعة أقسام : قسم الرياضيات ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الاقتصاد السياسى ، وقسم الآداب والفنون •

وكان ثمرة الجهد الهائل الذى بذله علماء هذا **المجمع المصرى** خلال فترة الاحتلال ، هو أعظم كتاب صدر عن مصر فى العصر الحديث كله ، وهو كتاب (**وصف مصر**) الذى ترجم عدة أجزاء منه المرحوم زهير الشايب • وقد صدر فى ٢٣ مجلدا ، احتوت المجلدات التسع الأولى منه على النصوص ، بينما احتوت المجلدات الأربعة عشر الباقية على الرسوم • وقد طبع فى تسعة عشر عاما ـ أى (من ١٨٠٩ الى ١٨٢٨ م)•

وبطبيعة الحال فلست أقصد من هذا الكلام حث الشعوب على الترحيب بالغزاة الأكثر تحضرا ، وانما انا فقط انبه الى هذه المفارقة ، لأن ما مضى قد مضى ، وعلى الشعوب أن تستلهم ضميرها القومى وكرامتها الوطنية وهى تقاوم كل معتد وغاز »(١) •

نعم ... على الشعوب التى تتعرض لغزو ، أن تقاومه فى سبيل حريتها •

وقد تكون المقاومة بالسلاح والدماء ؛ أو قد تنهج مسالك أخرى مثل الاستفادة من توازن القوى المؤثرة فى الصراع الدائر فى منطقتها ، وغير ذلك من الأساليب التى يحفل بها تاريخ الدول والشعوب •

---

(١) مجلة أكتوبر القاهرية ـ العدد ٦٤٢ ـ الأحد ١٢ فبراير ١٩٨٩

وقد تكفى شرارة الغزو ، واحتكاك النظم والحضارات المختلفة ، فى ايقاظ الأمم والشعوب ، وتبادل المعارف والخبرات .

* *

﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾
(الحجرات : ١٣)

* * *

obeikandl.com

هـذا التلوث الجنسى

يعرف التلوث ، فى أبسط صورة ، بأنه افساد النقاء وتلطيخ الطبيعة الأولى لشىء ما بأوساخ دخيلة عليه .

والجنس غريزة فطرية ، أودعها الله فى الانسان ـ كما فى غيره من الكائنات الحية الأخرى ـ كوسيلة أولى لحفظ النوع ، وبالتالى ضمان استمرارية الحياة على كوكب الأرض .

وهى ترتبط فى صورتها المكشوفة لجميع المخلوقات ، بالأعضاء الجنسية لكل من الزوجين : الذكر والأنثى ، ويعرفها كل مخلوق جيدا دونما حاجة الى تعليم أو ارشاد من آخرين .

فلم يحدث ، مثلا ، أن شوهد حمار يعلم وليده الذكر كيف يمارس الجنس مع الفه من اناث الحمير ... ومع ذلك فالحمير تمارس الجنس فى سهولة ويسر ، تندفع اليه بغريزتها ، وتعرف ماذا تفعل ، فستمتع به وتحافظ على نوعها مثل بقية المخلوقات .

والجنس غريزة قوية ، لا يحتاج الحديث عن قوتها الى برهان ... وازاء الكبت الذى فرضته **الكنيسة** على رجالها ، لم يكن هناك من متنفس سوى صراع موجع ، وأنات يائسة ، كما فعل **لوثر** حين قال : (كم هو شىء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! **ان الشهوة هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ،** حتى ولو كان بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا) .

والذين لم ينفعهم الصراخ شيئا . فى تخفيف ما يسببه لهم الجنس من عذاب وآلام ، كانت لهم ممارسات أخرى معروفة ...

ان هذا يعنى بداهة أن غريزة الجنس فى الانسان ليست فى حاجة الى استثارة .

ووسائل الاثارة معروفة أيسرها الكلمة ، وهى أكثرها شيوعا ، ثم الصوت ، والصورة ، والمجسم الميت ، كالتمثال ونحوه ، ثم الجسد الحى ، حيث العرى والتجرد من كل ستر أو حياء . وهنا تهبط غريزة الجنس بالانسان الى ما دون الحيوان ، فيرتكب فى سبيل اشباعها ـ دون جدوى ـ جرائم لا تحصى ، مثل القتل والسرقة والاغتصاب والجاسوسية وتعاطى المخدرات ... الخ .

ومن هنا كان خطر الاثارة رهيبا ، وكانت آثارها مدمرة للأفراد والشعوب على السواء . وان سجلات التاريخ ، وواقع حياتنا اليومية خير شاهد على ذلك .

*

الجنس ، اذن ، مطلب فطرى ، فرضه وجود الزوجين : الذكر والأنثى ، ليعمل وفق الناموس الطبيعى للمخلوقات ...

والجنس مطلب شرعى ، أوصى الله به ، وفق الناموس الالهى الذى شرع الزواج وباركه ...

ومن ثم ، كان التلوث الجنسى هو كل ممارسة لغريزة الجنس خارج الناموس الالهى الطبيعى الذى شرع الزواج بين الذكر والأنثى . ويتضمن ذلك، بطبيعة الحال ، كل قول او فعل من شأنه أن يفضى الى مثل تلك الممارسة الجنسية الآثمة ، قياسا على ما تعارف عليه البشر فى تشريعاتهم من اعتبار التحريض ركنا من أركان الجريمة .

ولما كانت الوقاية خيرا من العلاج ، كان من اللازم تجنب الاثارة الجنسية وعواقبها ، وذلك بالتعامل مع الجنس بلطف ، ومعالجة قضاياه بوعى وتبصر .

ويقتضى ذلك عدم اشاعة الفضائح والفواحش بين الناس ، ومس

موضوعات الجنس مسا خفيفا ، واستخدام الفاظ وتعابير لا فحش فيها ، تهذيبا للعواطف وارتقاء بالغرائز .

* *

● **وقائع جنسية :**

يحفل **الكتاب المقدس** بذكر كثير من الممارسات الجنسية الآثمة ، والتى يقع أغلبها فى بيوت الأنبياء ، رجال الله المختارين ! ولقد رأينا شيئا من ذلك سلفا حين تحدثنا عن نساء الأنبياء ، أما الآن فنكتفى بعرض خلاصة اجمالية مع شىء من الاضافات .

*

١ ـ لوط زنى بابنتيه ، وانجب منهما ولدين : (الأول : موآب ، وهو أبو الموآبيين . والثانى : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون) (تكوين ١٩) .

ومن الموآبيين جاءت (راعوث الموآبية) التى كانت جدة كبرى لداود (راعوث ١ ، ٤) .

ومن داود جاء يوسف النجار ، **رجل مريم** (متى ١ : ٦ ، ١٩ ، لوقا ٣ : ٣١) .

وقد سمى الانجيل يسوع : **ابن يوسف** فقال : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : **ابن يوسف** ابن هالى ... ـ لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد دعت مريم يوسف رجلها : أبا ، لابنها يسوع . . فقد كان « **أبواه** (مريم ويوسف) يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد : وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل

جالسا وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم .. وقالت له أمه : يا بنى ، لماذا فعلت بنا هكذا . **هو ذا أبوك وانا** كنا نطلبك معذبين ـ لوقا ٢ : ٤١ ـ ٤٨ » .

وهكذا ، جاء التلوث الأول لنسب المسيح الطاهر النقى الذى قال **القرآن** فى أمه العفيفة البتول :

﴿ **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ (آل عمران : ٤٢) .

ومن المفارقات أن بولس لم يذكر اسم مريم أم المسيح ، **ولو مرة واحدة** ، فى رسائله الكثيرة والطويلة . وكان كل ما قاله فى هذا الصدد ، أن المسيح جاء « **مولودا من امراة ، مولودا تحت الناموس** ـ غلاطية ٤ : ٤ » .

❋

٢ ـ ابن عمدة شكيم (نابلس) يغتصب دينه ابنة يعقوب . فقد « أخذها ، واضطجع معها ، وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب ، وأحب الفتاة ، ولاطف الفتاة ـ تكوين ٣٤ : ٢ ـ ٣ » .

❋

٣ ـ راوبين ، الابن البكر ليعقوب ، يزنى باحدى نساء ابيه . (تكوين ٣٥ : ٢) .

❋

٤ ـ يهوذا ، ابن يعقوب ، يزنى بثامار ، كنته التى كانت زوجة بالتوالى لولديه المتوفين . (تكوين ٣٨) .

وقد ولدت ثامار ثمرة هذا الزنا ، توأمين : الأول : اسمه **فارص** ، والثانى : اسمه **زارح** .

وقد تكرر التأكيد على هذه الفجيعة الآثمة فى نسب المسيح الذى ذكرته الأناجيل ، حيث كان **فارص** أحد أجداده القدامى .

« ويهوذا ولد فارص وزارح من تامار . وفارص ولد حصرون ... ـ متى ١ : ٣ ، لوقا ٣ : ٣٣ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثانى لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٥ ـ جاسوسا يشوع بن نون ، خليفة موسى فى بنى اسرائيل ، يستخدمان راحاب الزانية لانجاح مهمتهما فى تجسس أرض فلسطين . (يشوع ٢) .

وقد كافأها يشوع باستثنائها وبيتها من الذبح والتدمير ، بعد فتح المدينة ، فقال :

« **راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما** ـ يشوع ٦ : ١٧ » .

« **واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها** ـ يشوع ٦ : ٢٥ » .

وقد جاء ذكر راحاب الزانية فى سلسلة نسب المسيح ، فقال الانجيل :

« **وسلمون ولد بوعز من راحاب** . وبوعز ولد عوبيد من راعوث ـ متى ١ : ٥ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثالث لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٦ ـ ومن قضاة اسرائيل ، « كان يفتاح الجلعادى ، جبار بأس ، وهو ابن امراة زانية .. وكان روح الرب على يفتاح قضاة ١١ : ١ ، ٢٩ »

*

٧ ـ ومن قضاة اسرائيل ، كان شمشون الذى « باركه الرب . وابتدا روح الرب يحركه .. فحل عليه روح الرب .. ثم ذهب شمشون

من غزة وراى هناك امراة زانية فدخل اليها ـ قضاة ١٣ : ٢٤ ـ ٢٥ ، ١٤ : ٦ ، ١٦ : ١ » .

❋

٨ ـ داود زنى بامراة أوريا الحثى ، احد جنوده ، ثم تآمر عليه وقتله . وبعد موته تزوج امرأته بشبع وانجب منها سليمان . (صموئيل الثانى ١١) .

وقد جاء ذكر امرأة أوريا هذه فى سلسلة نسب المسيح، فقال الانجيل: «**وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا** ، وسليمان ولد رحبعام ـ متى ١ : ٦ ـ ٧ » .

وهكذا جاء التلوث الرابع لنسب المسيح الطاهر النقى ...

❋

٩ ـ امنون بن داود يغتصب اخته تامار (صموئيل الثانى ١٣) .

❋

١٠ ـ ابشالوم بن داود يزنى بسرارى ابيه العشر . (صموئيل الثانى ١٦) .

❋

١١ ـ اشعيا يسير عاريا ثلاث سنين بين شعب اسرائيل (اشعيا ٢٠ : ٢) .

❋

١٢ ـ هوشع يتزوج زانيتين وينجب منهما ذرية . (هوشع ١ : ٢ ـ ٣ ، ٣ : ١ ـ ٢) .

❋ ❋

● **أساليب القصص الجنسى :**

حرص مؤلفو الكتاب المقدس على تنويع أساليب القصص الجنسى الذى يطفح به .

١ ـ فهناك التشبيب بالمراة ، والغزل فى جسدها ، واحاديث التلاقى بين العاشقين الذين لعبت الخمر برؤوسهم .

يقـــول سفر نشـــيد الانشاد :

« فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته .

انى أقوم وأطوف فى المدينة .. حتى وجـــدت من تحبـــه نفسى ، **فامسكته ولم ارخه حتى ادخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى ..**

ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة . عيناك حمامتـــان من **تحت نقابك .. شـــفتاك كســـلكة من القرمز . وفمك حلو . خـــدك كفلقة رمانة .. عنقك كبرج داود .. ثدياك كخشفتى ظبية توأمين .. كلك جميل يا حبيبتى ،** ليس فيك عيب ..

كلوا أيها الأصحاب ، اشربوا واسكروا أيها الأحباء ..

قد خلعت ثوبى ، فكيف ألبســـه ..

حبيبى مد يده من الكوة ، فأنت عليه أحشائى ..

طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى . وجدنى الحرس الطائف فى المدينة .**ضربونى ، جرحونى . حفظة الأسوار رفعوا ازارى عنى ..**

ما أجمل رجليك .. دوائر فخذيك مثـــل الحـــلى .. سرـ كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج . **بطنك** صـــبرة حنطة مسيجة بالسوسن ..

ما أجملك وما احلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتـــك هـــذه شـــبيهة بالنخـــلة ، **وثدياك بالعناقيد . قلت انى أصعد الى النخلة وأمســـك بعذوقها .** وتكون ثدياك كعناقيد الكرم .. **وحنكك كأجود الخمر السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين .**

انا لحبيبى ، والى اشتياقه. تعـــال يا حبيبى لنخرج الى الحقـــل ولنبت فى القـــرى . **هنالك أعطيك حبى . اللفاح (نبات مخدر)** يفوح رائحـــة وعند أبوابنا النفائس من جـــديدة وقديمة ، ذخرتها لك يا حبيبى .

لينك كأخ لى ، الراضع ثدى أمى ، فأجدك فى الخارج وأقبـــلك ولا يخزوننى . وأقودك وأدخل بك بيت أمى ، وهى تعلمنى ، فاسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى .

شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى ..

اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك • **لأن المحبة قوية كالموت** • الغيرة قاسية كالهاوية • **لهيبها لهيب نار لظى الرب** • مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ••

أنا سور ، **وثدياى كبرجين** • حينئذ كنت فى عينيه كواجدة سلامة » •

ان هذا النشيد الذى يرجع تاريخ تاليفه الى أكثر من ألفى عام لم يترك شيئا للأجيال اللاحقة التى تهوى هذا النوع من الغزل الجنسى المفضوح • فهو لا شك مصدر الهام لمن قرأوه وسلكوا هذا السبيل •

*

٢ ـ وهناك تعليم لأصول الجنس فى صوره المتبذلة حين تمارسه مومس هاوية •

فمن المعلوم أن أنبياء الله ، مثل : (**هوشع وارميا وحزقيال ، قد شبهوا علاقة الشعب الاسرائيلى مع الهة بعلاقات الزوجة بزوجها**) !

وبعد أن انقسمت مملكة سليمان • عقب موته ، الى مملكتين ، سميت مملكة السامرة • فى الشمال ، باسم : **الزانية اهولة** ، وسميت مملكة أورشليم ، فى الجنوب ، باسم : **الزانية اهوليبة** • ولقد تردت المملكتان فى طريق الكفر والوثنية والانحلال ، فجاءهما التبكيت والنذير على لسان الأنبياء فى **صور جنسية يخجل منها كل من عنده بقية من حياء !**

يقول **حزقيال** : « كانت الى كلمة الرب قائلة : يا ابن آدم ! عرف أورشليم برجاساتها وقل •• كبرت وبلغت زينة الأزيان • **نهد ثدياك ونبت شعرك** وقد كنت عريانة وعارية • فمررت بك ورأيتك ، واذا زمنك زمن الحب • فبسطت ذيلى عليك ، وسترت عورتك ••

فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك ، **وسكبت زناك على كل عابر فكان له •• وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ••**

فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ، ورجست جمالك ،

وفرجت رجليك لكل عابر ، وأكثرت زناك . وزنيت مع جيرانك بنى مصر .. وزنيت مع بنى آشور ، اذ لم تشبعى فزنيت بهم ، ولم تشبعى أيضا ..

فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة .. ولم تكونى كزانية ، بل محتقرة الأجرة .. لكل الزوانى يعطون هدية . أما انت فقد اعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك . وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك ، اذ لم يزن وراءك ، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك ، فصرت بالعكس .

فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب .. ها أنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم . . وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك ـ الاصحاح ١٦ » .

ويقول حزقيال أيضا : « كان الى كلام الرب قائلا : يابن آدم ! كان امرأتان ابنتا أم واحدة . وزنتا بمصر . فى صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزغزعت ترائب عذرتهما ..

واسماهما : السامرة أهولة ، وأورشليم أهوليبة . وزنت اهولة من تحتى وعشقت محبيها آشور الأبطال .. شبان شهوة ..

ولم تترك زناها من مصر ، لأنهم ضاجعوها فى صباها ، وزغزغوا ترائب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم . لذلك سلمتها ليد عشاقها ..

فلما رأت أختها أهوليبة ذلك ، أفسدت فى عشقها أكثر منها .. عشقت بنى آشور .. كلهم شبان شهوة .. فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجوها بزناهم .. وكشفت زناها وكشفت عورتها ..

عشقت معشوقيهم ، الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى الخيل . وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك ..

هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أهيج عليك عشاقك .. فيعاملونك

بالبغضـــاء .. ويتركونك عريانة وعـــارية ، فتنكشف عـــورة زناك ، ورذيلتك وزناك ـ الاصحاح ٢٣ » .

*

٣ ـ وحين يكون هناك احتيال بين رجل وامرأة من أجل ممارسة جنسية آثمة ، نجد تفصيلا للمحاورات والمراوغات ، التى تجر فكر القارىء الى مستنقعات ملوثة لا داعى للخوض فيها . ففى قصة يوسف وامرأة العزيز بمصر ، يقول الكتاب المقدس : « وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معى . فأبى وقـــال لامرأة سيده هو ذا سـيدى .. كل ما له قد دفعه الى .. ولم يمســك عنى شـــيئا غيرك لأنك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء الى الله .

وكان اذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لهـــا أن يضطجع بجانبها ليكون معهـــا .

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ، ولم يكن انسان من اهل البيت هناك فى البيت . فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معى. فترك ثوبـــه فى يـــدها وهرب وخرج الى خـــارج .... ـ تكوين ٣٩ : ٧ ـ ١٢ » .

ان كل ما ذكره القرآن العظيم فى هذه الواقعة ، أن مسها بما قل ودل من ألفاظ منتقاة ، فكان حقا أبلغ الكلام على الاطلاق ، اذ قال :

« وراودته التى هو فى بيتهـــا عن نفســـــه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله » (يوسف : ٢٣) .

وفى قصة احتيال أمنون بن داود لممارسة الجنس مع أخته ثامار ، تعليم لكل جاهل بمثل تلك الموبقات .

يقول **الكتاب المقدس :** « وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن

داود أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود • وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أختـــه ، **لأنها كانت عذراء وعسر فى عينى امنون أن يفعل لهـا شيئا !**

وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى **اخى داود • وكان يوناداب رجلا حكيما جدا** • فقال له : لمـاذا يابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح الى صباح ؟ أما تخبرنى ؟ فقال له أمنون : انى أحب ثامار •• فقال يوناداب : **اضطجع على سريرك وتمارض** • واذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزا ، وتعمـل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها •

فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه • فقال أمنون للملك : دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فآكل من يدها •

فأرسـل داود الى ثامار •• فذهبت ثامار الى بيت أخيها أمنون وهو مضطجع • وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه •• فأبى أن يأكل •

وقال أمنون : أخرجوا كل انسان عنى • فخرج كل انسـان عنـه ثم قال أمنون لثامار : ايتى بالطعام الى المخدع فآكل من يدك • فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به الى أمنون أخاهـا ؛ الى المخدع • وقدمت له ليأكل **فامسـكها وقال لهـا : تعـالى اضطجعى معى يا اختى** •

فقالت له : يا أخى ، لا تذلنى لأنه لا يفعل هكذا فى اسرائيل •• والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك • **فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها** •

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا ، حتى ان البغضة التى أبغضها اياها كانت أشد من المحبة التى أحبها اياها •**وقال لها : قومى انطلقى •• بل دعا غلامه الذى كان يخدمه وقال : اطرد هذه عنى خارجا واقفـل البـــاب وراءها •• فأخرجها خادمه الى الخـارج وأقفل البـــاب** ـ صموئيل الثانى ١٣ : ١ ـ ١٨ » •

وهكذا يتعلم الناس الكثير والكثير •••

٤ ـ ثم هناك اصرار على التوسع فى امور الجنس وذكر اعضائه تصريحا أو تلميحا فى شتى الأمور والمناسبات .

فيعبر **الكتاب المقدس** عن حمل المرأة بأن الرب فتح رحمها ، اذ يقول : « **ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها .. فحبلت ليئة وولدت ابنا** ـ تكوين ٢٩ : ٣١ ـ ٣٢ » .

ويقال للذكر البكر بانه فاتح رحم :

« **كلم الرب موسى قائلا : قدس لى كل بكر فاتح رحم من بنى اسرائيل ومن البهائم** ـ خروج ١٣ : ١ ـ ١ » .

وحين يتحدث **الكتاب المقدس** عن عملية جنسية بين رجل وامرأة يسميها **اضطجاع زرع** ، فيقول :

« **المرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بماء ويكونان نجسين الى المساء** ـ لاويين ١٥ ـ ١٨ » .

لقد اكتفى **القرآن العظيم** باستخدام كلمة واحدة للعملية الجنسية بين الرجل وامرأته ، تعبر عن المعنى المطلوب بكل لطف ، فكانت كلمة **المس** :

﴿ **قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا** ﴾
(مريم : ٢٠)

﴿ **وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح** ﴾
(البقرة : ٢٣٧)

وحين يتحدث **الكتاب المقدس** عن انتقام الله من شعب اسرائيل نظير كفره وتمرده ، يأتى من وسائل ذلك الانتقام **كشف العورات ، ليعاينها الناس ، ويكون وراء ذلك ما يكون !**

« **قال الرب:** من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ، ويمشين ممدودات الأعناق ، **وغامزات بعيونهن** ، وخاطرات فى مشيتهن ويخشخشن بأرجلهن • يصلع السيد هامة بنات صهيون ، **ويعرى الرب عورتهن** ـ اشعيا ٣ : ١٦ ـ ١٧ » •

« **فقال الرب** : كما مشى عبدى اشعيا معرى •• هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر وجلاء كوش ، الفتيان والشيوخ ، **عراة وحفاة ، ومكشوفى الأستاه** ـ أشعيا ٢٠ : ٣ ـ ٤ » •

ان النظر الى عورة الغير ، دون سبب مشروع ، انما هو خطيئة ، حتى لو كان هذا الغير من الأعداء • ويحكم هذا كله ، وأمثاله ، قاعدة أصولية عامة قررها **القرآن العظيم** فى قوله :

﴿ **ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ ؟!
(الأعراف : ٢٨)

*

٥ ـ ثم هناك الشتائم الجنسية التى انتقلت الى العالم كله ...

فحين غضب شاول ـ مسيح الله • وأول ملك فى اسرائيل ـ على يوناثان ابنه ، فانه شتم أمه وعرض بعورتها فصارت مثل سوء فى العالمين ، يرددها المنحطون فى كل زمان ومكان :

« حمى غضب شاول على يوناثان ، وقال له **يابن المتعوجة المتمردة ! أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك ؟!** ـ صموئيل الأول ٢٠ ـ ٣٠ » •

« تقدموا الى هنا ، يا بنى الساحرة ، **نسل الفاسق والزانية** ـ أشعيا ٥٧ : ٣ » •

وهكذا ، صارت شتمة : **يابن الزانية !** على لسان السفلة ورعاع الناس ، حتى تقلدوا أعلى المناصب ، وحصلوا على أرفع الألقاب •••

* *

● **انزلاق الى الاباحية :**

(**من الثمر تعرف الشجرة**) ، هكذا علم المسيح ... وهكذا ضرب الأمثال ، فلقد قال انجيل متى ، في **موعظة الجبل** : « **هل يجتنون من الشوك عنبا او من الحسك تينا** ـ ٧ : ١٦ » .

وقد قبلها انجيل لوقا ، في **موعظة السهل** ، فقال : « **انهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا يقطفون من العليق عنبا** ـ ٦ : ٤٤ » .

لقد كان لهذا التلوث الجنسي الذي استحوذ على أفكار أولئك الذين عاشوا فيه بحكم انتمائهم العقائدي والتاريخي ، أن ينتج ثمارا تتفق وبذورها المزروعة . ولذلك انطبعت عندهم الفنون والآداب ، **التي هي احدى مفاخر الابداع الانساني** ، بطابع الجنس الاباحي .

وتعرف الاباحية في مجتمع ما بانها انتهاك فوضوي لنظمه ، ولقواعد السلوك ، والقيم الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع ، وارتضى العيش في ظلها .

كما انها تعني العمل : قولا أو فعلا أو بأي صورة اخرى من صور التعبير ، عما في مكنون الانسان ، وفقا لهواه الشخصي ، ودون ادنى اعتبار للوجود الانساني للآخرين وكرامتهم . وما دام الأمر كذلك ، فلا عاصم من اختراع الأكاذيب ، واختلاق الأوهام ، والاستغراق في كل خيال جامح وشاذ .

كذلك ، تعني الاباحية ، **بلغة الكتاب المقدس** ، ما كان عليه الشعب الاسرائيلي بعد موسى وخليفته يشوع : حين انسلخ عما جاء في التوراة من تشريع ونظام حياة ، وانطلق فوضويا عابثا ، يمارس الكفر والجنس واللهو على هواه . لقد كان ذلك منذ أكثر من ثلاثين قرنا ، أي ٣٠٠٠ عام ، « ففي تلك الأيام ، لم يكن ملك في اسرائيل . **كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه** ـ سفر القضاة ١٧ : ٦ » .

فالاباحية ، فى حقيقتها ، ردة الى الفوضى والتوحش الانسانى ، واهدار لجهاد الانسان عبر آلاف السنين فى سبيل : **الحق والخير والجمال ، (وذلك بأن يعمل كل واحد ما يحسن فى عينيه)** .

*

● **الأدب الاباحى والأدب العالمى :**

معذرة ! ان الأدب الاباحى ، بحكم طبيعته ، لا يمكن أن يكون أدبا ، يسمو بالانسان فكرا وسلوكا ، ويعبر عن أفضل المشاعر والوجدان، لكنه لم يكتسب هذا الاسم الا كخطأ شاع وانتشر .

فالأدب الاباحى ، من واقعه ، يعنى التعبير عن كل ما تختزنه النفس البشرية من فجور وقصور ، وما بها من أهواء للانطلاق بعيدا عن كل قيود ، اضافة لما يتوارد عليها كل وقت وحين من همزات الشياطين .

ويعتبر الأدب عالميا ، اذا عبر من المحلية والاقليمية الى العالمية ، فأصبح معروفا ومتداولا بين أفراد كثيرين وجماعات شتى من أغلب شعوب العالم ، فيتناوله الأدباء والمفكرون بالدراسة والنقد والتحليل . حتى اذا صمد لذلك ، واستذاقه الناس ، عاشوه وصار يفعل فعله فيهم ، ويفرض مثله عليهم ، ردحا من الزمن .

ولا شك أن الترجمة الى اللغات الحية العالمية هى المنفذ الأول من المحلية والاقليمية الى العالمية . بل صارت هذه الترجمة ، فى أكثر الأحيان ، اجازة العبور الى العالمية .

ويرينا الواقع الملموس كل يوم ، أن انزلاق الأدب الاباحى الى الأدب العالمى سهل ميسور . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بمس بعضها مسا خفيفا .

*

● **الفقر والرذيلة !**

الفقر قد يدفع ، أحيانا ، الى الرذيلة ... هذا واقع ملموس • ومن المفارقات أن نقيضه ، وهو الغنى ، قد يدفع ، أحيانا ، الى الرذيلة أيضا ..

عجيب أمر هذا الانسان ... الفقر يدميه ، والغنى يطغيه ، وضمان أمنه يتطلب الوسطية والاعتدال فى كل شى • فذلك هو العدل والميزان الذى به تستقيم الحياة •

على أن هناك غالبيـــة عظمى من الفقراء ، تعيش صـــابرة بايمانها وفضائلها ، لا تفرط فى شىء من ذلك مهما كانت الآلام والمعاناة • فهذا الصنف المتميز من الفقراء : ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنيـــاء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا** ﴾ (البقرة : ٢٧٣) •

لكن نموذج الأدب الاباحى الذى نستعرض شيئا منه بعد قليل ، قد جاء من مخلوق أدمى الفقر أسرته وظل يعضها صباح مساء ، فحدث التحلل والانهيار ، خاصة وأن رصيد الايمان كان فى المستوى الدون •

ومعذرة ، اذا استبدلت بعض ألفاظه المبتذلة بوضع **خمس نقاط** متلاحقة ، اعتمادا على فطنة القارىء !

ومعذرة ، مرة أخرى ، فان ما قرأناه من سفرى حزقيال ونشـــيد الأنشـــاد وغيرهما ، يعطينا قدرا من المنـــاعة ضـــد مثل هـــذا اللا أدب الرخيص •

❋

يقول المؤلف عن روايته التى اختار لهـــا اسما من كلمتين ، بأنها (سيرة ذاتية روائية) • وكان مما سطره قلمه المتمرد :

(تذكرت كيف لوى أبى عنـــق أخى • كدت أصرخ : أبى لم يكن يحبه • هو الذى قتله • نعم قتله •• رأيته يقتله •• لوى عنقه • تدفق الدم من فمه) •

❋

وفى المنزل الذى يتكون من غرفة واحدة ، كانت بالنسبة لهم كل شىء ، ففيها ينامون ــ الأب والأم والابن ، وفيها يأكلون :

(فى الليل أيقظتنى مثانتى الممتلئة .. قبلات تصفق .. همسات حب .. انهما يحبان بعضهما .. اللعنة على حبهما .. انها تكذب . لن أصدقها بعد اليوم !

ــ ..... ــ .....

ــ بنت الزناء ! ــ لا . لا .. ليس هكذا !

يعضان بعضهما .. يأكلان بعضهما .. أحس مثانتى تفرع السائل الساخن) .

*

(أحيانا أنام فى المخبزة المجاورة للمقهى .. ذات ليلة رأيتهم يمزحون : أمسك خمسة أو ستة من الخبازين بالخباز ... وطرحوه على الأرض . كمموا له فمه بخرقة من القماش حتى لا يعض . أنزل واحد من رفاقه سراوله وحك ....

خرجت من المخبزة خائفا أن يحدث لى مثل ما حدث .. لقد سمعت كثيرا عن الاغتصابات الجنسية التى تحدث للفتيان والصبيان) .

*

(أستيقظ باكرا لأسرق الفواكه من الأشجار . الدجاج وبيضه وأفراخ الحمام .. أبيع المحصول لأصحاب دكاكين الحى . رغبتى الجنسية تنهيج كل يوم . الدجاجة ، العنزة ، الكلبة ، العجلة ... تلك كانت اناثى) .

*

بعد ذلك يروى مغامراته فى بيوت الدعارة ، وما شاهده فيه من بنات جنسه ، وما شاهده من نظيراتهن الأوروبيات . والفرق بين هؤلاء وهؤلاء ...

(علمتنى مخدومتى غسل الصحون .. شعرتنى سعيدا معهـا . صارت موضوع رغبتى الجنسية .. الحنين يحزننى عندما أفكر فى بغايا ... على مهل أو بسرعة . بتقبيل الشفتين وضم النهدين أو مجرد أن يدخل الشيء فى الشيء) .

*

(صرت أفكر : اذا كان من تمنيت له أن يموت قبل الأوان ، فهو أبى . أكره أيضا الناس الذين يشبهون أبى . فى الخيال لا أذكر كم مرة قتلته ! لم يبق الا أن أقتله فى الواقع) .

*

(فى الصباح ، بعد صعودى من الميناء ، ذهبت الى مكتبة واشتريت كتابا لتعلم مبادىء القراءة والكتابة بالعربية ..

ان لى عشرين سنة ، ولا أعرف حتى كيف اوقع اسمى) .

*

هذا بعض ما سطره مخلوق يحمل اسما مسلما متميزا ، نختزل اسمه الكامل الى : **المسيو مركش** . وهو قد نشأ فى أسرة مسلمة وضيعة الحال فى كل شيء .. وفى بلد عربى مسلم عريق الجذور ..

لقـد كان الانسان يسير فى شوارع عاصمته ، فيلمح روايته على الرصيف بحذاء الحذاء .. لا تجد من ينظر اليها . فمؤلفها مغمور فى القاع ، لم يؤت حظا من القراءة ، فما باله يخوض فى عالم الكتابة الذى أشقى كثيرا من أهل العلم وحملة العالى من الشهادات .

وفجأة حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد تنبهت السلطات الى ما تنطوى عليه الرواية من فحش وتبذل ، وما تزخر به من خسة وحقارة يعبر عنهـا موقفه من أبيه . ولم نكن الا تصـويرا للحالات والمواخير وجماعات السوء وعصابات الشرور . وكان القرار بمصادرتها . لكن هناك اصرار من قوى تعمل على نشر التحلل والرذيلة فى عالمنا ، تحت ستار

حرية التعبير والدفاع عن حقوق الانسان ، فعبرت بها الى العالمية حيث ترجمت الى ثلاث لغات حية . وان كانت قد اختفت من بلد مؤلفهـا ، فلتطبع فى بلاد عربية أخرى .

وصار كاتبها المتمرد محل تعليق فى الاعـلام الغربى الذى وقف يسانده ، وكأنه يقول : ولو ! نحن معك ، فالقوة وفرض الوجود معك !

لقد تغيرت حياته من الفقر الى الغنى ، ومن الخمول الى الشهرة ...

ثم جاء كاتب آخر مشهور فى بلده ، يقدم لتلك الرواية الاباحية المبتذلة ، فيغدق عليها وعلى صاحبها أعظم النعوت والأوصاف ، فيقول :

(لم يتعلم ... القراءة والكتابة حتى العشرين من عمره ، فكانت حداثته انجرافا فى عالم البؤس ..

هروب من أب يكره أولاده ، فقد قتل أحد أبنائه فى لحظة غضب. شرود فى أزقة مظلمة وخطرة .. اكتشاف دنيا السارقين والمدمنين على السـكر ..

هو عمل لا مثيل له ، يحتل موقعا متميزا فى الادب العربى المعاصر . وليس صدفة انه نشر بلغات أوروبية متعددة مثل : الانكليزية أو الفرنسية أو الاسبانية ..

ان الذى يكتبه ... من الأمور التى لا تقـال ، فتكتم ، أو على الأقل لا تكتب وتنشر فى الكتب ، خصوصا فى ميـدان الأدب العربى الراهن)

*

فليفرح العرب ، اذن ، بهذا الانتصار الذى تحقق فى عالم الحضارة .. فلقد شبق أدبهم المعاصر ... معذرة ، أقصد : شبك أدبهم المعاصر بذيل الأدب العالمى ، وعبر من الاقليمية الى العالمية ...

ولينتظر هذا الأدب الاباحى المتمرد **نوبل** ، فلم تعد عليه بعزيز ...

وهكذا يكون الطريق الى الادب العالمى ...

* * *

أوروبـا : مهـــلا ٠ ٠ ٠ !

فجأة ، توقفت الحرب العراقية الايرانية ٠٠٠

وبدأ الناس ، هنا ، يتنفسون الصعداء ٠٠٠ ولكن فى حذر وريبة ٠٠٠ فتجارب مئات السنين مع أولئكم الذين يهمهم الاستمرار فيهـا ، ولو مائة عام ، تجعل الشعور بالاطمئنان من هذه الناحية أمرا مستحيلا ٠

لذلك كان السؤال الذى ظل يتردد هو : وماذا يدبرون لنا الآن ؟ واذا نجح تدبيرهم ، فأين تكون الجبهة التالية لاستنزاف المسلمين ؟

ولم يدم التساؤل كثيرا ٠٠٠ فما هى الا شهور ، حتى جاء نذير المعركة التالية ! لقد بدأت بداية عابثـة ، ثم هى تتطور الآن فى طريق مواجهة خطيرة منفلتة لا يعلم عواقبها الا الله ٠٠٠

لقد استعرت نار الهوشة الأخيرة تحت شعار براق هو المحافظة على حقوق الانسان ! أى انسان ؟٠٠٠ انسان واحد بعينه ، هذه المرة ، هو الدجال الهندى الملحد ، مؤلف روايات شيطانية ، الذى صارت حياته فى خطر بعد أن تلقى تهديدا بالقتل ، نتيجة لسبه الاسلام ونبيه ونساءه وصحابته ، وتدنيسه أسماء تتألق فى سماء القداسة والطهر ، من البشر : ابراهيم أبى الأنبياء ، والأب الروحى لليهود والمسيحيين والمسلمين ــ ومن الملائكة: جبريل ، معلم الأنبيـاء ورجال الله الصـديقين والقديسين (دانيـال ٨ : ١٦ ؛ ٩ : ٢١) ، وأمين العرش « الواقف قـدام الله ــ لوقـا ١ : ١٩ » والروح المرسل الى مريم العذراء لتحمل ابنهـا المسيح بأمر الله (لوقا ١ : ٢٦) ٠

لقد أعمت الكراهية المتوارثة أبصارهم عن تلويث بعض مقدساتهم والعبث بها ، ما دام قد سب الاسلام ونبيه والمسلمين ٠ ولذلك سارت من أجله المظاهرات ، وأعلنت الاحتجاجات ٠ واذا تركنا آحاد النـاس وجماعاتهم التى يسهل اثارتها بقوة الاعلام اليوم ، وانتقلنا الى أهـل

الحكمة والتعقل من قادة الشعوب وساستها لوجدنا عجبا ! فها هو المجلس الوزارى لدول السوق الأوروبية المشتركة يجتمع ويصدر قرارا تلو قرار ، دعما لهذا الكاتب العابث ومحاولة لدرء الخطر عنه • وأكثر من ذلك أن تطلب بعض الدول عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الموضوع واتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على حياة ذلك الدجال ، وكأنه مسيح منتظر جاء فى وقته ليقود الغرب •

ان التاريخ شاهد على ظهور مثل أولئك المسحاء الكذبة ؛ وكان منهم « **باركوشبا الذى دعى المسيح المنتظر** » ، وقاد ثورة اليهود ضد الرومان فى الفترة ١٣٢ ــ ١٣٥ م ، « وعندما قضى عليهم نهائيا ، فان كلمتى : اليهودية ، وأورشليم ، قد محيتا تماما من القاموس الرومانى وأعيد تسمية الاقليم باسم : فلسطين ، وأقيمت عاصمتها ايليا كابيتالينا على أنقاض أورشليم ، وحرم دخولها على اليهود »[1] •

ولقد تنبأ المسيح عن رفض اليهود له ، وهو المسيح الحقيقى ، وجريهم وراء ذلك الكذاب الآتى بعده ، والذى قادهم الى الشتات الطويل ، فقال لهم : « لستم تقبلوننى • ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ــ يوحنا ٥ : ٤٣ » •

ثم كانت حركة مسيائية فى ايطاليا (١٥٢٤ ــ ١٥٣٢) ، ومسيحا آخر كذاب هو شبتاى زفى عام ١٦٦٥ م ••• الخ •

*

ان لهيب هذه المعركة المستعرة يتزايد الآن فى صورة تحريض سافر وسافل بالاسلام ونبيه والمسلمين ، وبالعالم الاسلامى قاطبة • وهو تحريض وصل حد السفه الذى ارتفعت فيه أصوات مسئولة أو شبه مسئولة ، تعلنها صراحة ودون مواربة بضرورة اتفاق الغرب والشرق على محاربة الاسلام بالقضاء على المسلمين ومحاصرتهم ••• !

الى هذا الحد ؟! نعم ••• !

---

(1) J. Parkes : A History of The Jewish People, p. 39

ان هذا الجو المحموم الذى يثيره شياطين الانس فى الغرب الآن ضد الاسلام والمسلمين ، يمثل اضطهادا نفسيا يتعرض له ، بالدرجة الأولى ، المسلمون فى الغرب بمختلف صنوفهم وهو انتهاك صارخ لحقوق الانسان • ثم هو تخريب متعمد للعلاقات الاسلامية المسيحية ، التى لا مصلحه لاى من الطرفين فى تخريبها ، بعد أن حاولت هذه العلاقات تجاوز الماضى ، فأقامت جسورا كثيرة للتعاون والتفاهم والخير المشترك للجميع •

ان هذا الجو المحموم ليذكرنا بما حدث فى الأمس القريب ، حين هيج بعض ساسة أوروبا شعوبهم ضد قرار مصر بتاميم قناتها ـ قناة السويس ـ تمهيدا للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بزعامة انجلترا وفرنسا ، واشتراك اسرائيل •

ولقد كان لفشل هذا العدوان فى تحقيق أهدافه آثار بعيدة المدى ، يكفى التذكرة بأنه منذ ذلك التاريخ ، اعترف العالم بقوتين عظميين فقط هما : أمريكا وروسيا ، بعد أن تراجعت اثنتان من القوى الأربع الكبرى الى الصف الثانى ، وبدأ عصر التحرر الوطنى والاستقلال ، ففقدت انجلترا وفرنسا جل مستعمراتهما فى الستينات من هذا القرن • وهكذا فعل الحمقى من الساسة بامبراطورياتهم •

وان هذا الجو المحموم ليذكرنا بالأمس البعيد حين أهاج البابا ايربان الثانى ورجال كنيسته الشعوب المسيحية ضد الاسلام والمسلمين ، وأطلق صرخة الحروب الصليبية فى مجمع كلدمونت عام ١٠٩٥ ؛ تلك الحروب التى أدمت كل شىء طيبة قرنين من الزمان ، وتركت جراحا تستكين فترة ، لتعاود الايلام فترات • ومن مظاهر ذلك ، حالة السعار السائدة فى الغرب الآن •

ومما لا شك فيه أننا امام ظاهرة أوروبية منكرة ، تفعل فعلها فى الشعوب الأوروبية ذاتها ، كما تفعل فعلها فى الآخرين •

ولقد نقلنا ، سلفا ، بعض ما قالته **كارن أرمسترونج** فى حديثها عن اضطهاد النساء بدعوى التشيطن ، التى اجتاحت أوروبا طيلة قرنين من الزمان ــ السادس عشر والسابع عشر ــ **بسبب خوف متوهم ، تماما كما هو حادث الآن حيث يتصاعد الوهم بالتخوف من الاسلام والمسلمين .**

ولا مانع بالتذكير ببعض ما قالته **كارن** مرة أخرى :

« ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع .. ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع ، أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير عنها سوى هذا الأسلوب العنيف اللاعقلانى » .

* *

أوروبا تريد أن ٩٠٠ عام !

لقد نسيت أوروبا أشياء كثيرة ... لا بد من التذكير ببعضها الآن ، قبل أن ينفلت العيار ، وينقلب العبث جدا وخطرا .

*

اولا ـ ادانة الحروب الصليبية :

لقد نسيت أوروبا أن عقلاءها وعلماءها ومؤرخيها ، بل ومبشريها ، أدانوا جميعا الحروب الصليبية .

يقول المبشر **ستيفن نيل** : « ان فكرة تخليص الأماكن المقدسة المسيحية من أيدى الكفرة ، لم تكن فكرة حقيرة فى ذاتها ، **لكن الرجال قد حاربوا لأسباب أعمق من هذا .** فقد كانت ضربة داهية من جانب البابوات لابعاد القوة التى لا تهدأ لطبقه الفرسان بعيدا عن الحروب الضروس التى استمرت تخرب أوروبا الغربية . فبالنسبة لمن سقطوا قتلى فى الأرض المقدسة ، أسبغت عليهم هالة الاستشهاد فى سبيل قضية مسيحية مزعومة ، وبالنسبة لأولئك الذين عاشوا ، كان هناك الأمل فى جزاء مادى ضخم من أجل المساعى الروحية : الاستيلاء على أراض جديدة ، بعيدا عن أوروبا التى لم تكن أما كريمة بأبنائها الصغار .

ومما لا يقبل الجدل ، أن الحروب الصليبية قد علمت العصور الوسطى الأولى : فلقد أصبح المسيحيون على دراية بعالم آخر وبحضارة اكثر تقدما عن حضارتهم .

ولكن ، بعد أن نفرغ كل ما يقال فى جانب الاطراء لتلك الحروب الصليبية ، فان المسيحى لا يملك سوى الحكم **بانها كانت فى مجملها كارثة لا يمكن تفادى آثارها بالنسبة لقضية المسيحيه .**

لقد صورت الحروب الصليبية بأسلوب روماتيكى قوامه الأساطير .. **وبالنسبة لأغلب المحاربين المسيحيين ، كان المسلمون مجرد كفرة ليس لهم الحق فى الوجود ، وليس لهم عقيدة يحافظون عليها ، ويمكن ذبحهم دون شفقة أو ندم ، من أجل مجد الاله المسيحى .**

وهكذا ، غشى عالم البحر المتوسط سحابة كئيبة من الكراهية طيلة القرنين اللذين انصرما بين الفتح الأول لأورشليم عام ١٠٩٩ ، وفقدان آخر معقل صليبى فى عكا عام١٢٩١ ، سحابة تلقى بظلالها على المستقبل . ولقد كانت كارثة الكوارث ، أن تلك الكراهية قد استحضرت فكرتها فى الأذهان باسم المسيح »[١] .

❋

ويقول لويس يونج : « فى أوروبا كان يظن بأن الصليبيين أبطال . وقد أسبغت عليهم عبارات التمجيد البطولى الرومانسية . **ولكنهم فى الواقع ليسوا سوى أفظع زمرة سفاكة متعطشة للدماء فى تاريخ أوروبا »(٢)** .

❋

هكذا كان الأجداد ، فهل يريد الأحفاد السير على خطاهم ؟!

❋ ❋

ثانيا ـ انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها :

لقد عاشت أوروبا تنتهك حقوق الانسان عبر تاريخها المثير . ويحتاج الحديث عن هذا الموضوع الى مجلدات ضخمة ، لا بضع صفحات من كتاب . ونكتفى الآن بمس هذا الموضوع الخطير فى تاريخ البشرية .

❋ ❋

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 113 — 114.

(٢) العرب وأوروبا : ص ١٤٨

١ ــ انتهــاك حقوق الانســان الأوروبى

(أ) الاوروبى وثنيــا :

لقد استخدم ملوك أوروبا وأمراءها السيف لاجبار شعوبهم على التحول الى المسيحية دون خيار آخر • وفى هذا يقول المبشر ستيفن نيل(١): « ان شارلمــان يعتبر بلا جدال واحدا من أعظم الشخصيات فى تاريخ كل من الكنيســة والعــالم •• ومما يهمنا فى المقــام الأول هنــا هو **امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شــارلمــان ضــد السكسون ••** فقد كانوا مصدر خطر عليه • ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية •

فمنــذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول الى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع ••

وبمجرد اخضاع احدى القبائل الالمــانية ، فان تحولها الى المسيحية كان يندرج فى بنود السلام ، كثمن بمنح نظير تمتعها بحماية الامبراطور •• وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءا شاحبا على العمليات التى تم بها اخيرا تحول السكسون الى المسيحية .

لقد سجل أنه فى احدى المناسبات ، قتل شارلمــان ٤٥٠٠ سكسونى فى يوم واحــد .

وتفرض قوانين الدولة عقوبات وحشية ضــد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، منها :

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 79 — 80; 105; 93 — 95.

ان أى سكسونى غير معمد ، يحاول أن يختبىء بين شعبه ويرفض قبول التعميد مسيحيا ، سوف يقتل » .

وفى **النرويج** استخدم الملك أولاف ، منذ عام ٩٩٥ « **كل الاسلحة : المداهنة ، والخداع ، والتحريض . وعندما فشل كل ذلك فانه استخدم الأجبار المحض دون مواربة .. وفى اغلب الحالات كان الملك مستعدا عند الضرورة أن يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحد السيف »** .

وفى بروسيا « كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين واللتوانيين ، وعدد من شعوب أخرى : **لم تتحد جميعها الا على شىء واحد هو تصميمها على ألا تكون مسيحية ..**

ومهما كان تفكيرنا فى الطريقة التى اتبعت أخيرا ، **فان التاريخ لا يستطيع انكار أن اضافة هذه المناطق الى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين ..**

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن **تضم الى ممتلكاتها اى أراضى تستولى عليها من الوثنيين ، شريطة أن تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد أراضيه !**

وقد حدث أخيرا ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن **عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة..**

لقد انقضت خمسون عاما فى أعمال الغزو ، وفى نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا الى العالم المسيحى ..

لقد جاءت الى هنا كل أجهزة التبشير المسيحية فى القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى . وكانت بنود المعاهدة (بين الغزاة والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى ..

قد يكون موضع تساؤل : الى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشيا مع المظهر الخارجى للممارسات العقيدية ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقبنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شارلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون . بل انه فى الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلوفيس (ملك فرنسا) ورجاله فى عام ٤٩٦))).

وفى المجر : « تزوج أميرها جيزا فى عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هى أولهيد البولندية .. ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، فان جيزا عقد العزم على تحويل بلده الى المسيحية .

ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فانه لجأ الى وسائل اخرى غير مقبولة ، ومن ثم تضاعف أعداد المتنصرين بسرعة)) .

وهكذا كان تحول اوروبا الى المسيحية بالسيف الذى عمل بين شعوبها ، من شرقها الى غربها ... فهذا ما يقرره مؤرخو التبشير بالمسيحية .

❋

(ب) الأوروبى مسيحيا :

منذ أن صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية على عهد قسطنطين الكبير (٣٢٥ م) بدأت **الكنيسة** تقوى حتى جمعت فى يدها السلطتين الدينية والدنيوية ، فسيرت الجيوش الجرارة للحرب باسم المسيح ، ومنحت بركاتها للملوك والأمراء الذين خضعوا لسلطانها ، وقاتلت الذين خرجوا على ارادتها ، وقتلت حرقا وشنقا كل من اعتبرته متمردا على تعاليمها فى الدين والدنيا . ولقد كان لدعاة الاصلاح والتقدم من رجال الدين ورجال العلم النصيب الوافر من الاضطهاد والملاحقة والابادة .

لقد كان دعاة الاصلاح الدينى يعملون من أجل اعادة فتح باب

الاجتهاد فى الدين على أساس احلال العقل محل النقل ، والغاء احتكار رجال الكنيسة كمفسرين وحيدين للوحى ، والغاء دور القديسين كوسطاء بين الله والناس .

أما رجال الفكر الكنسى المتشدد فكانوا على العكس من ذلك ، يرون ضرورة الاحتفاظ بالتقاليد والمفاهيم المتوارثة واطاعتها طاعة عمياء ، وأن أى مخالفة لذلك انما هى هرطقة وكفر جزاؤهما الاحراق فى الدنيا رحمة بالمذنبين ، بدلا من الاحراق الأبدى فى الآخرة .

ويعبر عن هذا المنطق الرهيب **توركويمادا** (١٤٢٠ ــ ١٤٩٨) ، **رئيس محاكم التفتيش فى أسبانيا** ، الذى كان « يبرر احراق مئات الزنادقة والسحرة على الخازوق ، وتعريف الزنادقة والسحرة وكل منشق على الكنيسة الكاثوليكية أو رافض لها فى العقيدة أو السلوك أو المصالح، بقوله : نحن نحرقك فى الدنيا رحمة بك حتى تنقذك من النار الأبدية فى الآخرة » ![1] .

ولقد كان من نتيجة تطبيق هذا الفكر الكنسى الرهيب أن تعرض الكثير للتعذيب او الاحراق او كليهما معا . ونكتفى بذكر عدد محدود جدا من رجال الاصلاح الدينى ورجال العلم الذين سحقتهم الكنيسة سحقا .

١ ــ **فى عام ١٤٩٨** ، أحرقت الكنيسة الراهب الايطالى **سافونا رولا** الذى كان أول من بدأ حركة الاصلاح الدينى فى ايطاليا ، وذلك بعد قرار حرمان أصدره البابا اسكندر السادس عام ١٤٩٧ .

وبعد محاكمة استمرت أربعين عاما ، استخدمت فيها كل انواع التعذيب ، أعدم واحرقت جثه مع راهبين آخرين من أتباعه المخلصين ، فى فلورنسا .

٢ ــ وكانت « أول ترجمة انجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبرى والاغريقى ، انما كانت من عمل **وليام تنذال** .

---

(١) ثورة الفكر ــ ص ٨٩

لقد واجه معارضة مريرة ، واتهم بتعمد افساد معنى الكتاب المقدس ، وأمر باحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة .

وأخيرا ، سلم ليد أعدائه ، حيث تم اعدامه على رؤوس الأشهاد حرقا بالشد على الخازوق ، فى أكتوبر ١٥٢٦ » .

٣ ـ وفى عام ١٥٥٣ ، أحرقت الكنيسة ، فى جنيف ، ميخائيل سارفيتوس الأسبانى ، ومعه كتابه : اعادة بناء المسيحية .

٤ ـ وفى عام ١٦٠٠ ، أحرقت الكنيسة جوردانو برونو ، فى ميدان الأزهار (كامبو دى فيورى) بروما .

وكان من بين التهم الموجهة اليه : الزندقة والردة . **والدعوة لنظرية كوبرنيك فى الفلك القائلة بأن الأرض ليست مركز الكون ، وان الكواكب تدور حول محورها وحول الشمس ،** وهو ما يتنافى مع الجغرافيا والفلك كما استخلصتهما الكنيسة من الكتاب المقدس ومن أعمال أرسطو وبطليموس الجغرافى . وكان من التهم أيضا ، الاشتغال بالسحر ، **ويدخل فى هذا الباب الدعوة الى العلم للسيطرة على الطبيعة .**

٥ ـ وفى عام ١٦٤٢ مات الفلكى جاليليو فى عزلته كمدا ، بعد أن اصيب بالعمى . فقد حاكمته الكنيسة ، وحكمت عليه بتحديد اقامته بعد أن أعلن تبراه من مفاهيمه العلمية حول الأرض وحركتها ، والشمس والكون . فقال فى اعترافه أمام المجمع المقدس عام ١٦٣٣ : (أستنكر هذه الأخطاء والزندقات المذكورة ، وبوجه عام كل الأخطاء والزندقات والمعتقدات المتعارضة مع الكنيسة المقدسة) .

هذا ـ ولسوف نصرف النظر عن الحديث عن الاضطهادات الدينية التى تعرضت لها الجماعات الدينية ، وخاصة ما كان بين الكاثوليك والأرثوذكس ، ويكفى التذكرة **بأن الحملة الصليبية الرابعة**

خربت القسطنطينية التى فرح العالم الكاثوليكى باخضاعها ، اذ كان يسميها المدينة الملحدة ! وقد ابتهج **البابا أنوسنت الثالث** ، وأعلن فى رسالته الى بلدوين ـ الذى جرى تتويجه امبراطورا صليبيا فى كنيسة القديسة صوفيا ـ بأنه يطرب (**لما صنعه الله**) ، وأعلن موافقته دون تحفظ • وأما ما كان بين الكاثوليك والبروتستانت فجرائمه كثيرة ومتبادلة ، وتاريخه مرير ، يحفظه الغرب المسيحى جيدا •

**

٢ ـ انتهاك حقوق اليهود

عاش اليهود فى أوروبا المسيحية يعانون الاضطهاد والتعذيب والطرد طبقا لما توارثه المسيحيون عبر القرون من تعاليم كنسية • ولم تقف اللعنة التى ظلت تطارد اليهود ـ ازاء موقفهم العدوانى من المسيح حسبما تقول الأناجيل ورسائل التلاميذ ـ الا بعد الحرب العالمية الثانية • وكانت خطوة حاسمة فى هذا السبيل ، تلك التى اتخذها **البابا يوحنا الثالث والعشرون** (اعتلى كرسى البابوية من أكتوبر ١٩٥٨ الى يونيو ١٩٦٣) وذلك بحذف عبارة عدائية من صلاة الجمعة الحزينة تتحدث عن **اليهود الملعونين** ، تداولتها **الكنيسة** عبر القرون من مفاهيم الانجيل ، مثل قوله : « **اجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى اولادنا** ـ متى ٢٧ : ٢٥ » •

وكذلك من وصف **بولس** لليهود **أعداء الانسانية** ، وأن غضب الله عليهم الى النهاية ، وذلك فى قوله : « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم **غير مرضين لله** ، **واضداد لجميع الناس** • يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم فى كل حين • ولكن **قد أدركهم الغضب الى النهاية** ـ تسالونيكى ١ : ١٤ ـ ١٦ » •

وفى نظرة سريعة على أهم الأحداث فى تاريخ الشعب الاسرائيلى ،

منذ صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية وما تلا ذلك من اقامة ممالك ودول مسيحية فى أوروبا ، **منذ صار للمسيحية** سيف تقاتل به ، نجد مسلسل اضطهاد أوروبا لليهود يسير كالآتى[1] :

٥٣٧ م مرسوم جستنيان بحرمان اليهود من الحقوق المدنية وحرية العبادة .

٦١٣ ملك القوط الغربيين يجبر اليهود فى أسبانيا على اعتناق المسيحية .

٦٢٩ اجبار اليهود على التعميد ، وطردهم من فرنسا تحت حكم الملك داجوبرت .

٦٩٤ تحويل جميع اليهود فى أسبانيا وبروفانس الى عبيد .

١٠٩٦ مذابح للطوائف اليهودية فى أوروبا ، ابان الحملة الصليبية الأولى .

١٠٩٩ طرد اليهود المقيمين فى أورشليم بعد سقوطها فى يد الصليبيين

١١١٣ أول مذبحة لليهود فى كييف بروسيا .

١١٨٢ ــ ١١٩٨ طرد اليهود من فرنسا على عهد فيليب الثانى (أوغسطس) .

١١٨٩ مذبحة لليهود فى انجلترا ؛ ابان الحملة الصليبية الثالثة .

١٢٥٤ طرد اليهود من فرنسا فى عهد القديس لويس (التاسع) .

١٢٩٠ طرد اليهود من انجلترا .

١٣٣٠ ــ ١٣٣٨ انتشار الطاعون يؤدى الى مذابح لليهود ، اعتقادا بأنهم سبب الوباء .

١٣٩٤ الطرد الأخير لليهود من فرنسا على عهد شارل السادس .

١٤٢١ طرد اليهود من فيينا .

---

(١) David Catarivas : ISRAEL, pp. 177 - 178.

١٤٨١ محاكم التفتيش •

طرد اليهـود من أسـبانيا ١٤٩٢ ، ومن لتوانيـا ١٤٩٥ ، ومن البرتغال ١٤٩٨

١٥١٦ بناء أول جيتو فى فينيسيا •

١٥٥٣ البابا يحرق التلمود فى روما •

١٥٦٣ ــ ١٦٥٦ مذابح لليهود فى أوكرانيا ، وألمـانيا ، وبولندا ، والنمسـا •

١٦٧٠ طرد اليهود من فيينا •

١٧٤٠ طرد اليهود من براغ •

١٧٦٨ مذابح لليهود فى أوكرانيا •

١٨٢٧ القيصر نيقولا الأول يأمر بتحويل أطفال اليهود اجبـاريا للمسـيحية •

١٨٩١ طرد اليهود من موسكو •

١٩١٨ ــ ١٩٢١ نشر بروتوكولات حكماء صهيون •

١٩٣٦ ــ ١٩٤٠ سن تشريعات معاداة السامية فى رومانيا وايطاليا والنمسـا •

١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ الحرب العالمية الثانية • مذابح لليهود •

⁂

ان فكرة **معاداة السامية** اختراع أوروبى ، لا علاقة له من قريب أو بعيد بالعرب ، لأنهم واليهود أبناء عمومة ، ويعتبرون ، وفق روايات الكتاب المقدس ، أمة سـامية •

ولا علاقة بين المسلمين واضطهاد اليهود وتعذيبهم ، **فالثابت تاريخيا ان عصور ازدهار الطوائف اليهودية كانت دائما فى ظل الحكم الاسلامى •** ولدينـا فى هـذا المقـام شـهادات وردت فى مرجـع هـام هـو :

اطلس اسرائيل الحديث ، الذى وضعه : البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية ؛ وطبع بمطابع جامعات اسرائيل بالقدس فى عام ١٩٦٨ ، ويعتبر بهذا وثيقة اسرائيلية رسمية •

تقول هذه الوثيقة :

« سيطر المسلمون سيطرة كاملة على فلسطين كلها ما بين سنة ٦٣٦ وسنة ٦٤٠ عندما كانت تحت الحكم البيزنطى . **ووجد المسلمون جماعات** يهودية **مبعثرة تعيش فى حالة فقر مدقع نتيجة للقيود والاضطهاد الذى مارسته الأجيال السابقة . وكانت مصادر عيشهم محدودة** ، وكانوا يكتسبون عيشهم فى المدن بممارستهم للتجارة أو الاشتغال بالأعمال الحرفية • **ولم يكن لهم سوى نصيب قليل فى الأدب والثقافة .**

وعلى مر الزمن ، استعمل يهود فلسطين كثيرا من طرق جيرانهم بما فى ذلك لغتهم ، وأصبح يطلق عليهم أشباه العرب أو المستعربين •

واذا ما قورن الفاتحون العرب فى فلسطين بغيرهم من الحكام الطغاة السابقين ، نجد أن العرب كانوا يعاملون الرعايا اليهود بقدر كبير من السماحة ، بل والعطف عليهم ..

وقد حاملو الصليب من البلاد الأوروبية المختلفة .. ثم توجهوا رأسا الى هدفهم المقدس وهو مدينة أورشليم .. واستولوا عليها بعد اراقة كثير من الدماء • **وذبح فى هذه المعركة السواد الأعظم من يهود اورشليم ..**

وعندما أصبح للمسيحيين اليد العليا فى الموقف ، قاموا بمذابح لا رحمة فيها بين اليهود .

وقد حضر الى فلسطين العالم اليهودى والفيلسوف الكبير **ميمون بن موسى فى سنة ١١٦٥ ، ولكنه ذهب الى مصر بسبب القلاقل التى كانت تعم البلاد فى تلك الأثناء . وفى مصر قضى احسن سنى حياته الخلاقة ..**

ان المماليك المسلمين ، هم الذين طردوا الصليبيين فى النهاية وحلوا محلهم فى السيطرة على فلسطين • وكان **المماليك يعطفون على اليهود ويحسنون معاملتهم ، وساد الرخاء بين الطائفة اليهودية فى فلسطين أيام حكمهم ••**

وفى أيام حكم المماليك ساد السلام والهدوء ربوع البلاد ، وكان هناك سيل لا ينقطع من الحجاج المسيحيين واليهود ••

وقد استولى المسلمون الأتراك على البلاد من المسلمين المماليك فى سنة ١٥١٧ ، **وفى عهدهم استمرت الطائفة اليهودية فى النمو والازدهار ••** وفتح السلطان سليمان الكبير طبرية وقرى كثيرة أخرى بالقرب منها لاقامة اليهود واستقرارهم فيها ••

وفى سنة ١٨٣١ غزا البلاد الجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا بن محمد على • وفى عهده ازدهرت المدن اليهودية فى فلسطين » •

بعد هذا : من يجرؤ على التنكر أو الانكار ؟!

* *

٣ — انتهاك حقوق المسلمين

(أ) من الماضى :

هو حديث طويل يتعذر تقصيه فى صفحات ، لكن ملامحه الرئيسية يحددها مثال متكرر عبر القرون ، يرينا كيف يعامل المسيحيون المسلمين عندما يكون السلطان بيد المسيحية • انها قصة اضطهاد دموى غشوم ، من أمثلته ما حدث بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م • فلقد توالت القوانين الجائرة لاستئصال بقايا العرب والمسلمين فى الأندلس • ومنذ عام ١٥٠١ أجبر المسلمون على التنصر ، وكان الاعدام نصيب كل من يمارس فى الخفاء تعاليم الاسلام ، أو تلقين أولاده مبادىء الدين ولغتهم العربية • وأمام هذا القمع الأعمى والارهاب المطلق ، تظاهر

المسلمون ابتداء من عام ١٥٢٦ بعتناق المسيحية • وقد ظلوا على هذا الحال أكثر من قرن . يخفون دينهم فى قرارة أنفسهم ، ويلقنونه أبناءهم بكامل السرية والحذر •

وقد أنشئت فى تلك الفترة **دواوين التفتيش** لتعقب المسلمين والتجسس على من تنصر منهم ، وتسليط أشد العقوبات عليهم ومن بينها الابادة الجماعية • وفى تلك الفترة أصدر المفتش العام **دون الفونسو مانريك** قائمة بسائر المظاهر التى تدين صاحبها بالتلبس بممارسة شعائر الاسلام . وبالتالى تبيح أن ينزل به أشد العقوبات فتكا وارهابا • وكانت تعلق تلك القوائم فى الكنائس والساحات العامة ، وتحرض المسيحيين الأسبان على الوشاية بكل من يشتبه فى تشبته بالاسلام •

ونقرأ فى هذه القائمة :

« لكل ما يتعلق بالملحدين المحمديين ، اليكم المظاهر والأشياء التى يجب الاخبار عنها :

اذا قيل ان المسيح كان نبيا . وليس الها ، وان والدته لم تكن عذراء !

ان سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم ، يقومون ببعض طقوس أعياد الدين المحمدى ؛ مثل الاحتفال بيوم الجمعة ، وتزيينهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من بقية الأيام الأخرى •

اذا ذبحوا الدواجن والحيوانات قاطعين العنق بالسكين ، وقائلين : باسم الله •

اذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة •

اذا ختنوا أبناءهم أو لقبوهم بأسماء عربية •

اذا قالوا انه يجب الايمان بالله وبمحمد نبيه •

اذا حلفوا بكل الآيات القرآنية .

اذا قاموا بصيام رمضان ، وأنهم لم يأكلوا أو يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى ، ووزعوا بعض الصدقات .

اذا قاموا بالسحور ، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار ، أو غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم .

اذا قاموا بالوضوء وغسلوا السواعد والأيدى حتى المرافق ، والوجه والفم والأنف والأذنين والقدمين والأعضاء الجنسية .

اذا قاموا الى الصلاة وحولوا وجهتهم نحو المشرق .

اذا احتفلوا بعيد الأضحى بعد قيامهم بالوضوء .

اذا تزوجوا على النهج المحمدى .

اذا غنوا الأغانى العربية ونظموا حفلات أو رقصات وغنوا بآلات موسيقية ممنوعة .

اذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة .

اذا غسلوا موتاهم ولفوهم فى كفن من قماش أبيض ودفنوهم فى قبر عميق وأضجعوهم فيه ، واضعين حجارة تحت رؤوسهم .

اذا قالوا أو فعلوا أى شىء مرتبط بالدين المحمدى » .

ويكفينا **جوستاف لوبون** التعقيب على أحداث تلك الحقبة الحالكة بقوله فى كتابه « **حضارة العرب** » :

« يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب والاضطهاد التى قام بها المسيحيون المنتصرون على المسلمين المنهزمين .

فلقد عمدوهم عنوة ، وسلموهم لدواوين التفتيش التى أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع . واقترح القس **بليدو** قطع رؤوس كل العرب دون أى استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد ، بما فى ذلك النساء والأطفال .

وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربى ، كانوا يشكلون النخبة الفكرية والصناعية فى أسبانيا . وهكذا **انطفأت حضارتهم الوهاجة التى ظلت تشع على اوروبا منذ ثمانية قرون** » .

ويقول المؤرخ الأمريكى **درايبر** فى كتابه « **النمو الثقافى فى اوروبا** » : « ما أن رسخت أقدام العرب فى أسبانيا حتى شرعوا فى عملهم الفريد الوضاء . وأصبح خلفاء قرطبة أكبر حماة للعلوم . **واقاموا الدليل على سمو ذوق يتناقض بصورة صارخة مع بدائية الأمراء الأوربيين** . وتحت ادارة هؤلاء الخلفاء بلغت قرطبة أوج ازدهارها . فبعد غروب الشمس ، يمكن للمرء بها أن يقطع عشرة أميال فى شوارع مستقيمة مضاءة بالفوانيس .

وبعد سبعة قرون من ذلك لم تكن لندن عرفت بعد الاضاءة العمومية ، وكانت شوارع قرطبة مبلطة بطريقة جيدة . وبعد اربعة قرون من ذلك لم يكن الباريسى يستطيع أن يخطو عتبة بيته دون أن يغوص فى الوحل الى كعبه .

أن العرب لم يحملوا معهم الى أسبانيا : لا الأحقاد الطائفية او الدينية، ولا محاكم التفتيش ، وانما حملوا معهم انفس شيئين فى العالم ، هما اصل عظمة الأمم : السماحة والفلاحة » .

وبمناسبة اضاءة شوارع المدن الاسلامية ليلا ، تذكر الدكتورة **سيجريد هونكه** ، أنه عندما بدأت اضاءة الشوارع **فى المانيا** ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، صدرت « **جريدة كولونيا الألمانية** ، تصف اضاءة الشوارع بمصابيح الغاز فى عددها الصادر يوم ٢٨ مارس سنة ١٨١٩ **بانه شر مستطير من البشر ، يهدد الظلام الالهى** » !

*

(ب) من الحـاضر :

منذ خمسين عاما ، اشتعلت الحرب العالمية الثانية ... وهى حرب أوروبية مائة بالمـائة ، كان حريا بمن أشـعلوها نتيجة طموحاتهم أو أخطائهم ، أن يقصروها على شعوبهم وبلدانهم . لكن دنيـا السياسة لا تعرف حقـوقا ولا ترتبط بواجبـات . فلقـد وضـع **ميكيافيلى** (١٤٦٩ ــ ١٥٢٧) نظريته فى أن : **الغاية تبرر الوسيلة** ، فجرد السياسة من الأخـلاق . ولا مانع بعد ذلك أن تتردى السـياسة الى السـفالة والقهر والارهاب . فالأمير المرهوب أفضل ، عنده ، من الأمير المحبوب.

لقد عاصر جيلنا تلك الحرب الضروس ، التى امتدت ليكتـوى بنيرانها العـالم القـديم كله . فى تلك الأثنـاء كانت جميع البـلدان الاسلامية ، عدا بلدا أو بلدين ، خاضعة تماما للاستعمار الأوربى : من المحيط الأطلسى غربا الى الأرخبيل الأندونيسى شرقا . وهذا الاستعمار ظاهرة ــ كما يقول الدكتور لويس عوض ــ « **اقترنت بالحضارة الغربية الحديثة ، وانتهت بنزح ثروات العالم وكنوزه وتكديسها واستغلالها فى اوروبا ، فى الانتاج والخدمات ، وفى مزيد من البحث والاقتحام** » .

لقد أكلت هذه الحرب شـباب العالم الاسـلامى ، واسـتنزفت خيرات بلاده ، سـواء فيما وراء البحار ــ كما يقولون فى أوروبا ــ فى المراحل الأولى من الحرب ، أو خلال المعارك الدموية فوق أرض أوروبا ذاتها خلال مراحلها الأخيرة . ان وثائق الحرب فى لنـدن ، وباريس ، ولاهاى ، وروما ، وغيرها ، خير شاهد على ذلك .

بل دعنـا من الوثائق وما فيها ، فهذه يمكن اخفاؤها والعبث بها ، فلدينـا ما هو أقـوى من ذلك آلاف المرات ... انه الواقع الملموس بجميع حواس الانسـان .

لقد نقلت أوروبا صراعاتها الدموية الرهيبة الى شعوب مستعمراتها وهكذا ، نجد احدى البلاد التى احتلتها انجلترا سابقا ، وهى مصر ، قد

اكتوت بنار الحرب العالمية ، حرب فرضت عليها فرضا ، فأجبرت على التعرض للخسائر والدمار طيلة سنواتها ، ولا تزال تعانى الى الآن من آثارها التخريبية . ولو جاءت لجنة من دول السوق الأوربية المشتركة لتعاين آثار حروبها المدمرة الى الآن لتقدر تعويضات مناسبة لمصر ، وسارت على أرض الساحل الشمالى المصرى فى منطقة العلمين وما حولها . فلن تعود تلك اللجنة أبدا ... ستتسفها ألغام الحرب التى زرعها الانجليز والألمان ... تلك الألغام التى يحصد المصريون ثمارها بازهاق الأنفس كل يوم ... وفى نفس الوقت تحرمهم من زراعة أكثر من ٢ مليون فدان ، مساحة هائلة يكفى أن نعلم أنها تساوى ثلث مساحة الأرض الزراعية بمصر ، فهى مساحة كانت كفيلة بتوفير احتياجاتهم من القمح . ذلك المحصول الاستراتيجى ، الذى صار واحدا من أسلحة الاستعمار الجديد ...

لقد كانت مصر فى الماضى مزرعة القمح الرئيسية للامبراطورية الرومانية الجبارة ، فاذا بها الآن نستورده لتأكل ... !

ومع ذلك ، فان صوت القوة الغشوم والاستعلاء المتعصب لا يزال يزعم كل صباح : أنها حضارة حقوق الانسان ... !

وماذا ، فى أوروبا ، بعد انتهاء الحرب ؟

ما كان غير الأيدى العاملة الرخيصة والمطيعةمن شباب العالم الاسلامى وبقية العالم الثالث ، ليقوم بعمليات اعادة بناء أوروبا وتعميرها. فلقد جند هؤلاء واستدعوا من أوطانهم ليحملوا أعباء البناء من أجل السلام ، كما حملوا أعباء الحرب والقتال . لقد جاءوا من نيجيريا والسنغال وغينيا ... ومن المغرب والجزائر وتونس ... ومن تركيا وايران وشبه القارة الهندية والملايو وأندونيسيا ... جاءوا من كل مكان الى أوروبا ليعملوا بها ، وحصلوا على جنسيات البلدان التى استقروا فيها ، حتى اذا انقضت بضع عقود من السنين ، هدأت فيها

الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، واستعاد الاقتصاد الأوربى قوته ، وقاربت أوروبا تحقيق وحدة قوية بينها ، خطط لها عام ١٩٩٢ ، انطلقت أصوات انتهازية تتنكر لدائنيها ، وتدعو لطرد أولئك الغرباء عن النسيج الأوروبى المتميز !

ان هذا وحده خير برهان ، لمن هو فى حاجة الى برهان ، على أن من يدينون بالمسيحية لا يعرفون التعايش السلمى بين الأديان • وحين تكون لهم اليد الطولى فى مجتمع ما ، فاما خضوع من الكل لتقاليدهم وممارساتهم ، واما صدام لا مفر منه •

لقد استنفدت أوروبا أغراضها منهم ، ولم تعد بحاجة اليهم ، فليذهبوا الى أى مكان ، وليكن الجحيم ••• ! لا يهم ، فالأمر سيان ••• أليس هذا ما جاء فى سفر (**الأمير**) : **السياسة سفالة** ••• أو كما قال ••• !

الأدهى والأمر ، انهم يعطوننا دروسا فى حقوق الانسان ••• !

*

٤ ــ انتهاك حقوق شعوب المستعمرات

تعتبر **افريقيا** خير مثال لدراسة الاستعمار وما ارتبط به من انتهاكات فظيعة لحقوق الانسان • فهذه القارة قد تعرضت لمختلف أنواع الاستعمار بخصائصه المختلفة ، فذاقت ويلات الاستعمار : الانجليزى والفرنسى والايطالى والأسبانى والبرتغالى والبلجيكى والهولندى والألمانى • وهى الوحيدة التى لا تزال بها الى الآن جيوب استعمارية ، فى نصفها الجنوبى ، لم تتم تصفيتها بعد •

وقد قام القس **جاك مندلسون** بجولة تبشيرية فى افريقيا فى الستينات من هذا القرن ، تعرف فيها على مشاكل القارة وارتباطها بالتبشير الذى عمل مخلب قط للاستعمار •

تقول جاك مندلسون : : « حينما تكون حالة الشبان الافريقيين سعيدة ، فانهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : ان المبشرين جاءوا الينا وقالوا : اننا نريد أن نعلمكم العبادة • وقلنا : حسنا • اننا نريد أن تتعلم العبادة •

وطلب المبشرون منا أن نغلق اعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد • وحينما فتحنا اعيننا ، وجدنا الانجيل فى يدنا ووجدنا اراضينا قد اغتصبت .

وهناك أيضا تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف فى افريقيا كلها : **ان حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لاخماد الروح الافريقية .**

أن ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لأن المسيحية قد ثبت عمليا أنها دين مشاغب ، فكل ملة تهاجم الأخرى ..

ان المبشرين مذنبون باكبر خداع حماسى لجذب الناس للعمل الارسالى .. انهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجى .. انهم كانوا ذئابا فى جلود نعاج .. ان المسيحية كانت جزءا من خداع افريقيا » .

ولقد عقب **مندلسون** على ذلك بقوله : « ان المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المستكشف والمستوطن والوكيل التجارى والموظف الادارى ، فان الافريقى راى فيهم **جميعا مشروعا مشتركا .**

ولم يكن الافريقى مخطئا فى تقديره .. فالمسيحية ، وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، اصبحت فى موقف شديد الحرج »(١) .

ويقول المبشر **ستيفن نيل** : **«فى القرن التاسع عشر ، خضع المبشرون الى العقد الاستعمارية التى تقول بأن الرجل الغربى فقط هو الانسان**

---

(١) الرب والله وجوجو : جاك مندلسون . ص ٢٩ ، ١٩٩

بكل ما تعنيه هذه الكلمة . لقد كان عاقلا وطيبا ، على أنه يجـــوز للأجناس الأخرى (غير الأوربية) أن تشـــارك فى هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذى تصطبغ به من نظم الحياة الغربية **لكن الرجـــل الغربى كان هو القائد ، ولسوف يبقى هكذا ازمن طويل ، وربما الى الأبد ..**

فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكيـــة اى اسقف من اصل غير أوروبى سوى أربعة ..

وعندما أثار شـــاب بلجيكى ، هو القس فنسنت لب ، السؤال عما اذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفيه وطنية فى الأقاليم الأخرى ، فانه واجه معارضة شديدة لاحقته فى كل مكان ، تقول : **انه طالمـــا كان الجنس الأبيض فى استطاعته ان يقدم موردا لا ينضب من الأســـاقفة ، فان لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية ..**

وفى أمريكا ، كان المبشرون شهودا على مأساة الهنود الحمر . ان أيا من بريطانيا وفرنســـا وهولندا ، لا يمكنهـــا التنصـــل مما حدث . لقد كان الأسلوب اللاانسانى الذى أقحم به الرجـــل الأبيض ، ذلك الهندى الأحمر فى صراعاته الخاصة ، مثيرا الهندى ضـــد الهنـــدى ، والهنـــدى ضـــد الأوربى ، **انما يمثل مرحلة من اكثر مراحل التاريخ الاستعمارى خزيا وعارا .**

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : **اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالى .**

فان الهندى الأحمر لم يستطع مقاومة اغراء خمر الرجـــل الأبيض الملتهبـــة . **وهنـــا ، كمـــا فى اى مكان آخر ، نجد ان تغـــذية الشعب البدائى بالكحول ، يعادل القتل مع سبق الاصرار »(١) .**

* *

---

(١) S. N.i : A History of Christian Missions, pp. 259 , 202.

٥ ــ انتهاك حقوق المسيح

وأخيرا ، فانه لما يزيد فداحة هذه المظالم والجرائم التى ارتكبت عبر القرون ، أنها ألصقت ظلما وعدوانا باسم **(الانسان يسوع المسيح)** ، كما سماه بولس فى رومية ٥ : ١٥

ان المسيح براء من كل ما حدث باسمه من حروب وانتهاكات ومظالم . وهو قد تبرأ من هؤلاء وهؤلاء ، ويوم القيامة يقول لهم جميعا : **« انى لم اعرفكم قط . اذهبوا عنى يافاعلى الاثم ــ** متى ٧ : ٢٣ » .

هنالك ، يجمعون « جميع المعاثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم فى اتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ــ متى ١٣ : ٤١ ــ ٤٢ » .

* * *

قضية الدجال الهندى

● **النشأة والخلفية :**

ولد سلمان رشدى فى بومباى بالهند سنة ١٩٤٧ ــ عام التقسيم وانشاء الدولتين : الهند وباكستان ــ من أب هندى يدعى أنيس رشدى ، مرتد عن الاسلام • وتلقى تعليمه الأولى فى احدى مدارس التبشير المنتشرة آنذاك فى الهند ، حيث كان المبشرون يقدمون له ولزملائه الطعام والكساء وغيره لاستمالتهم • فشرب فى هذه السن المبكرة كراهية الاسلام وكل ما يتصل به • وهكذا تضافر البيت والمدرسة فى بناء شخصيته مهتزة ، صلتها بالاسلام مجرد تسمية تثبت فى شهادة ميلاد أو بطاقة شخصية ، وعوامل انتزاعها من الاسلام أقوى وأبقى من عوامل ادخالها فيه •

ولما كانت بلده تعانى أزمات اقتصادية بسبب خضوعها للاستعمار مئات السنين ، وأخيرا بسبب الحرب بين الهند وباكستان ، فقد كانت أسرته ضمن من هاجر الى انجلترا سعيا للرزق • وهناك التحق بالتعليم الثانوى ، ثم بكلية الملك فى جامعة كمبردج •

وبعد تخرجه بحث عن وظيفة مناسبة هناك فلم يجد ، فقرر العودة الى موطنه الأصلى ، شبه القارة الهندية ، ولكن هذه المرة الى باكستان ، حيث أتيحت له فرصة عمل فى التليفزيون • بيد أن روائح الكفر والزندقة والطعن فى الاسلام بدأت تفوح منه ، ففصل من عمله ، وعاد الى لندن يجر أذيال الخيبة والاحباط بعد أن امتلا قلبه حقدا على الاسلام والمسلمين • وأخيرا وجد عملا فى احدى وكالات الاعلان ، أعطته دخلا ثابتا استطاع معه أن يتجه الى التأليف الروائى •

وفى عام ١٩٧٥ أصدر روايته الأولى : **جريموس** ، وعمره آنذاك ٢٨ عاما ، فلم يلتفت اليها أحد ، فماتت فى مهدها وأصابه لذلك احباط شديد • **ثم تزوج بعد ذلك بفتاة انجليزية تدعى كلاريسا لوارد ،**

وعن طريقها تعرف الى الناشرين ، فأصدر روايته: **أطفال منتصف الليل** ، وصف فيها حال الأولاد الذين يدخلون الحياة وقلوبهم خاوية من الايمان والقيم الأخلاقية ، ويأتون الى عالم ملىء بالمتناقضات . **ولقد قال عن نفسه : انه يشبه احدى شخصيات هذه الرواية ، ففى داخله ثقب لم يبق قطرة واحدة من الايمان عنده .**

ولقد أثارت روايته ضده ضجة فى الهند ، اذ كانت توجه نقدا عنيفا لسياسة السيدة أنديرا غاندى الخاصة بتعقيم الرجال ، فأدلت بتصريح تتوعد فيه صاحب الرواية بتقديمه الى القضاء . وفى تلك الأثناء منحته انجلترا جائزة بوكر ، وكأنها تغيظ الهند ــ الدولة المستقلة ــ والتى كانت يوما ما احدى مستعمراتها . لقد بدأ يطفو على السطح ، فها هى روايته : **أطفال منتصف الليل** ، تثير ضجة فى موطنه الأصلى ، الهند ، وها هو يمنح عليها جائزة فى موطن هجرته ، انجلترا .

بعد ذلك كتب رواية بعنوان : **العار** ، وانتظر أن يحصل بها على جائزة بوكر ، الا أن لجنة التحكيم أسقطتها من الفوز .

ثم ما لبث أن طلق زوجته الانجليزية ، وتزوج كاتبة أمريكية اسمها ماريان ويجينز ، لعلها تؤدى نفس الدور مع الناشرين الأمريكيين.

وبالرغم من تعرفه الى كثير من الناشرين فى انجلترا والولايات المتحدة ، وتعرفهم الى ما تتضمنه كتاباته من حقد دفين على الاسلام والمسلمين وتشجيعهم لاتجاهه هذا ، الا أنه ظل مغمورا ، بعيدا عن أضواء الشهرة العالمية التى ألتى كان يحلم بها[1] .

ثم كانت روايته : **آيات شيطانية** ، التى تجرد فيها من كل حياء ، وقذف بنفسه عاريا ، أمام الجميع ، فى مستنقعات الكفر والفجور والأكاذيب ، فعبث **بكل المقدسات ، ومن بينها المقدسات المشتركة بين**

---

(١) آيات سماوية : الدكتور شمس الدين الفاسى ــ ص ١١ ــ ١٤

اليهود والمسيحيين والمسلمين : ابراهيم خليل الله ، ابو الأنبيـاء ، والأب الروحى لأصحاب الديانات الثلاث ، كما عبث بملائكة الله فى السماء ، وعلى رأسهم جبريل أمين الوحى وأمين العرش ، اضافة ـ بطبيعة الحال ـ الى عبثه بمقدسات الاسلام .

لقد انتهى هذا الدجال الهندى من تأليف روايته الشيطانية هـذه فى سـنة ١٩٨٨ ، ونشرتهـا له دار فايكنج برس ، وظلت راقـدة فى المكتبـات لا تتحرك ، ولا تمتـد اليها يدى قارىء . ثم ما لبثت دار فايكنج برس أن تخلصت منها ، فباعتها الى دار بنجوين وبقى الحـال كما هو عليه من ركود تلك السـلعة البائرة ، الى أن تنبه المسـلمون الى ما فيها من فحش وأكاذيب ، وتعريض فاجر بمقدسـات الاسـلام والمسلمين ، فتحركوا لوقفها . لكن المتآمرين كانوا يتوقعون هـذا ، فحشدوا طاقات اعلامهم لاثارة الغرب المسـيحى كله ضـد الاسـلام والمسلمين ، وخاطبوا وجدانه وما استقر فيه من كراهية وعداء دفين ، فانطمست الأبصـار وعميت البصائر . **وفى هذا الجو المشحون ، فقد العقل سـلطانه ، وتحول المجرم الحقيقى ، سـلمان رشـدى ، الى ضحية بريء .** ووقف الغرب جميعا يعلن حمايته تحت شـعار براق ، استخدم بخداع ، هو : حماية حقوق الانسان ، ومن بينها حقه فى حرية التعبير ... !

* *

● **عاصفة كان يمكن تفاديها :**

« عندما صدر الكتـاب فى بريطانيـا ، حـاولت **اللجنة المتحركة للشئون الاسلامية** هناك اللجوء الى القضاء الانجليزى للاحتكام ضـد الروايـة ، فاتضـح لها **أن القـانون الانجليزى يحمى فقط المذهب المسيحى الانجليكانى .** فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على أسـاس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة : **(هـذا الكتـاب يسىء الى الاسلام)** ، كالعبارات التى تكتب على السجاير وتحذر من التدخين ولكن الناشر رفض .

وأمام المعارضة الاسلامية ، قررت احدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية واخراجه فى طبعة شعبية . عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الاسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى ، فتوجهوا الى أسقف احدى الكنائس بمدينة برادفورد ، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج الى الأسقف وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب عدم نشره ، ولكن لا جدوى . فقامت الجماهير الاسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ، ولكن المطابع فى استطاعتها أن تنتج المزيد .

فقام سكرتير اتحاد المنظمات الاسلامية فى لندن بتوجيه خطاب الى السيدة رئيسة مجلس الوزراء ، يدعوها فيه : **(من منطلق الحرص على المقدسات الدينية) الى الأمر من موقعها كمسئول رئيسى (باتخاذ اجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها) .**

ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب الى وزارة الداخلية البريطانية ، يطالبون فيه باتخاذ اجراء حاسم نحو الرواية .

واخيرا جاء اعلان من القصر الملكى : (ان الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه) .

ثم اعلن وزير الداخلية بيانا جاء فيه : (ان الحكومة لا تنوى احداث تغيير فى قانون الطعن فى المقدسات الذى يتعلق فقط بالديانة المسيحية) ..

وأمام التعصب (الديمقراطى !) انفجرت المشاعر الاسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها ، انفجرت أولا فى بريطانيا ، فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد : آيات شيطانية »[1] ، ثم

---

(١) سلمان رشدى شيطان الغرب : سعيد ايوب ـ ص ٨٦ ، ٨٧

انفجرت بعـد ذلك فى العالم كله • ثم توالت ردود الأفعـال من كلا الجانبين •••

لقد كان بالامكان تفادى هـذه العاصفة التى أحدثت ــ حتى الآن ــ تصدعا خطيرا فى علاقات المسلمين بالغرب المسيحى ، بعد أن أظهرت قضية الدجال الهندى أن صليبيته العمياء فى نهاية القرن العشرين لا تزال كما كانت فى نهاية القرن الحادى عشر • وكان بامكان بريطانيا أن تعالج الموقف بحكمـة السـاسة المتمرسـين وذلك باعادة النظر فى قانون الطعن فى المقدسـات ، بجعله يتضمن حماية اليهودية ، والمذاهب المسيحية الأخرى مثل الكثلكة والأرثوذكسية ، اضـافة الى الاسلام ، بدلا من قصره على المذهب الانجليكانى فقط • وما كان هذا العمل ــ لو تم ــ الا ليحظى بتقدير عالمى ، باعتباره برهانا على تأكيـد حـرية المعتقدات ، ووسيلة فعالة للتعايش السلمى بين أصحاب الأديان •

لكن الحكومة الخفيـة لا ترضى بذلك ••• وهى تمسـك بيـدها خيـوط دمى كثيرة تحركها كيفما تشـاء ••• وكان أن ازداد الموقف اشتعالا ••• فنشرت اعلانات مدفوعة الأجر شغلت مساحات كبيرة من الصحف العالميـة ، وظهرت حملة واسـعة من التحقيقـات الصحفيـة واستطلاعات الرأى ، وقامت محطـات التليفزيون بالدق على حـواس المشـاهدين ، وكلها تسير فى خط واحد هو اثارة الغرب ضـد الاسلام والمسلمين • وبلغت احـدى موجات الاثارة قمتها حين قام بعض طلبـة جامعة فى النمسـا بعقد ندوة ، هى فى حقيقتها قداس صـلاة مسيحى تليت فيه فقرات من كتاب ذلك الدجال الهندى •• سبحان الله !!

كأن الغرب قد عثر على انجيل مخفى ، جاء به ذلك الدجال المنتظر ، كما سبق أن عثر على بعض أسفار الكتاب المقدس جنوب البحر الميت عام ١٩٤٧ •• لقد بلغ الاستفزاز مداه ، وخاصة عندما تتحـدث الصحف والاذاعات العالمية ــ وعلى رأسها هيئة الاذاعة البريطانية التى توجـه اذاعاتها خصيصا الى العالم الاسلامى ــ فتصف ذلك الدجال باسـم : الكاتب المسلم سلمان رشدى •••

من ، يا ترى ، ذلك الكاتب الأسطورى ، الذى حظى فجأة باهتمام الغرب والعالم ، وصار حديث كل لسان ، كأنه ظاهرة غير مألوفة أو مرض خطير ، كالايدز ، لم تعرفه البشرية من قبل ... فلم يحدث أن اصطدمت عيناى فى أى من مكتبات لندن على مجرد ورقة تحمل هذا الاسم ، ولم يخدش بصرى أى ملصق من اعلانات الحائط يحمل ولو نصف اسمه . وهاهى قائمات الكتب التى تصدرها دوريا بعض دور النشر ، تصلنى تباعا ، ولا يوجد فى أى منها ذكر لهذا النكرة ...

*

هنالك ، صدرت عن ايران فتوى تبيح اهدار دم مؤلف رواية آيات شيطانية ، فتلقفها رؤوس الفتنة فى الغرب ، واستطاعوا تصعيد المواجهة من مستوى الأفراد والهيئات الى مستوى العمل السياسى الرسمى . فانعقد المجلس الوزارى للسوق الأوربية المشتركة فى اجتماع غير عادى ، وأدان ايران بعنف ، وقرر سحب سفراء دوله من طهران وفرض عقوبات عليها . وقد علق وزير خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعى الأوربى ، بقوله : انها أول مرة ، فى حدود علمى ، التى تعرب فيها المجموعة الأوربية عن غضبها على هذا النحو .

وفى أوتاوا رفض سفراء ٢٥ دولة اسلامية طلبا من كندا بدانة ايران ، كما رفضت الحكومة الكندية ، فى نفس الوقت ، طلبا من السفراء المسلمين بمنع تداول الكتاب أو ادخاله الى كندا .

وفى واشنطن ، تعهد المدعى العام الأمريكى ، أمام عدد من ناشرى الكتب ، باستخدام كل الوسائل الممكنة لوقف الجهود الرامية الى منع نشر الكتاب فى أمريكا .

وأصدر البرلمان الألمانى بيانا جاء فيه : ان اعلان الامام الخمينى عن قتل سلمان رشدى هو بمثابة اعلان الحرب على القيم الغربية .

وفى لندن . مسرح المؤامرة ، وقع ٣٤ عضوا من مجلس العموم على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدى .

ووصفت السيدة مارجريت تاتشر ، رئيسة الوزراء ، فتوى ايران بأنها تهجم على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان ...

لقد اختلطت الأوراق تماما ، وهذا ما يريده المتآمرون ...

ولقد حول الغرب صدامه السياسى مع ايران الى صدام مع الاسلام والمسلمين ، واستهان بمشاعر ١٠٠٠ مليون مسلم ، بينهم ٥٠ مليونا فى ايران . ولا أدل عن مدى التخبط السياسى الذى وقعت فيه دول الجماعة الأوربية من أنها بدأت تعيد سفراءها الى ايران بعد أسابيع من سحبهم ، ودون أى تغيير فى الموقف الايرانى ، سواء بالتراجع عن الفتوى أو حتى بادخال تعديل عليها .

* * *

مقاطع شيطانية

هذه هى الرواية الرابعة فى سلسلة انتاج الدجال الهندى سلمان رشدى لهذا النوع من الروايات الخيالية . وهذا يعنى أننا أمام عمل لا علاقة له بالدراسات العلمية الجادة التى تقوم على المنطق والبرهان واستجلاء الحقائق وتقريرها ، وكشف الشبهات ودحض الأكاذيب .

تبدأ الرواية باهداء : الى ماريان ، زوجته الأمريكية الثانية التى تزوجها بعد طلاق زوجته الانجليزية كلاريسا . وقد عرف عن ماريان هذه أنها كاتبة ملحدة ، تهاجم الأديان ومن بينها المسيحية .

وتتكون الرواية من تسعة فصول : الأول ، باسم : **الملك جبريل** ، وهذا يعطى انطباعا مبدئيا للقارىء أنه بصدد قراءة شىء عن الوحى والدين . ويتحقق توقع القارىء ، حيث يأتى الفصل الثانى مباشرة باسم : **ماهوند** ، وهو ما كانت تنادى به أوروبا عصور الظلام ، النبى محمدا ، بعد أن اخترعه رجال الكنيسة والكتاب والشعراء ، تحقيرا واهانة ! ثم تتعاقب الفصول : الثالث باسم الوحين ديوبن ، والرابع : عائشة ! والخامس : مدنية مرئية لكن مخفية ، والسادس : عودة الى الجاهلية ! ، والسابع : الملك عزرائيل ، والثامن : شق بحر العرب ، والتاسع : مصباح عجيب .

وقد ألحقت صفحة شكر ـ رقم ٥٤٩ ـ فى آخر الرواية ، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩ ، يتحدث فيها المؤلف عن اقتباسات من بعض تراجم معانى القرآن ، فيعترف بأن تلك الاقتباسات انما هى **تركيبة** من مجموعة من أعمال المترجمين السابقين مثل : داود ومولانا محمد على وغيرهما . **الا أن أخطر ما فى الموضوع هو اعترافه باحداث تغييرات من عنده .**

وهو يذكر ، فى تلك الصفحة ، مجموعة من الروايات التى اقتبس منها وكانت مصدر الهام له ، الا أنه يقر باعتراف خطير آخر ، جاء فى آخر سطرين ، يقول فيه :

« أرجو أن تكون هوية كثير من المؤلفين الذين تعلمت منهم واضحة من خلال النص ، **أما هوية الآخرين فيجب أن تبقى غفلا** » .

ويلاحقه هنا سؤال : لماذا أغفل ذكر أسماء هؤلاء ؟!

ان الاجابة المنطقية ، التى تتبادر الى الذهن ، هى أنهم ، **شركاؤه فى المؤامرة ...**

*

ولقد حدث ما هو متوقع من اعتراف الدجال الهندى بالعبث بتراجم القرآن . فهو يقتبس آيات من سورة النجم ـ التى زعم ، كالزنادقة السابقين ، أن النبى أضاف اليها عبارتين شيطانيتين تمدح آلهة المشركين ـ ثم هو يعبث بصيغة الآيات المقتبسة ، فيحول بعضها من صيغة الضمير الثالث (المفرد الغائب) الى صيغة الضمير الأول (المفرد المتكلم) ، وبذلك يوحى للقارىء بأن القرآن من عمل محمد . لكنه ، فى تزويره هذا ، نسى ككل مجرم أن يحكم جريمته ، فجاء الجزء الأول من الآيات المقتبسة بصيغة الضمير الثالث ، بينما تلاه الجزء المحرف بصيغة الضمير الأول .

فآيات سورة النجم تقول :

﴿ **والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن**

الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو ادنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . افتمارونه على ما يرى ﴾ ؟! (النجم : ١ ــ ١٢) .

لقد استبدل الدجال كلمة (الثريا) مكان كلمة (النجم) ، واستمر يستخدم هذه الصيغة الى أن انتقل الى الصيغة الأخرى بكلام وضعه على لسان النبى يقول فيه :

(ولقد رأيته مرة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ **بصرى** وما طغى .

لقد رأيت من آيات الرب الكبرى)[1] ، فخالف بذلك جميع التراجم المعروفة والتى أشار الى بعضها مثل : داود ، وبكتال ، وعلى ... ان القرآن لا يورد صيغة المتكلم المفرد على لسان النبى الا مسبوقة بكلمة : قل ، مثل قول الله ــ سبحانه ــ لنبيه :

﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام : ١٤) .

﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) .

ولقد وردت كلمة : قل ، فى القرآن ٣٣٢ مرة ، فى آياته التى تبلغ ٦٢٣٦ آية .

نحن ، اذن ، نتعامل مع خائن غير مؤتمن على أيسر الأمانات ، أمانة النقل ...

*

(1) I saw him. also at the lote tree of the uttermost end, near which lies the Garden of Repose . When that tree was covered by its covering **my eye** was not averted, neither did my gaze wander; and **I** saw some of the greatest signs of the **Lord.**

ما هذا النبى الا رسول الله الى الناس ، يبلغهم رسالات ربهم ، وينقل اليهم كلماته ، فيكون محدثهم الأمين باسم الله ، تحقيقا لما تنبأت به التوراة ، وحيا من الله لموسى ، فى قوله :

« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم ، مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما اوصيه به .

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا اطالبه ـ تثنية ١٨ : ١٨ ـ ١٩ » .

لم يقل الله : (أقيم لهم الها ، أو ابن الله) ، لكنه قال : « أقيم لهم نبيا » مثل موسى من بين اخوة بنى اسرائيل بن اسحق ، أى من العرب بنى اسماعيل اخى اسحق ، مهمته الأساسية نقل كلام الله الى الناس . ومن لا يسمع لذلك الكلام ، الذى يقرأه عليهم قرآنا ـ فان الرب ينتقم منه .

ان الأمر واضح تماما ، لكن القوم يصمون الآذان ويغمضون العيون ...

*

بعد ذلك ، تبدأ أول سطور الرواية بحديث عن عقيدة هندوكية تعرف باسم : تناسخ الأرواح ، أى الموت والولادة مرة ثانية ، أو تكرار الولادة . ويحدث ذلك ـ حسب ظن من يعتقدون فى هذا ـ بعد موت الانسان ، فيبلى جسده ، أما روحه فتعود الى الحياة متقمصة جسدا جديدا ، قد يكون انسانا أو حيوانا أو حشرة ، فتبدأ الروح بذلك دورة حياة جديدة .

ان استخدام هذه الفكرة يسمح باللعب بالأشخاص والأزمنة ، فتتداخل الأحداث وتختلط الصور والأوراق ، ويترك القارىء متحيرا ، أو واقعا تحت ايحاءاته . فهو ، بهذا ، يهرب من الجدية والموضوعية التى تتطلبهما الدراسات العلمية ، ويجنح الى رواية يفرغ فيها سمومه وخيالاته ، فيعبث بالحقائق المعروفة ، ويزيف التاريخ كما يشاء ، ويترك القارىء ، بذلك ، يسبح فى هواء .

وفى الفصل الأول : **الملك جبريل** ، نجد الدجال يخلع اسمه على مواطن هندى أسماه : جبريل فارشتا ، الذى يذهب من بومباى الى لندن ، ومعه على نفس الطائرة مواطن آخر هو صلادين شمشا ، والذين تقع بهما الطائرة فى القنال الانجليزى ، ثم ينجوان من الموت بمعجزة ، فيصاب جبريل بانفصام الشخصية .

ويحلم جبريل ، ويحلم كثيرا ، ويبث أحلامه الى ماهـوند ـ فى الفصل الثانى ـ فيربط الوحى الى نبى الجاهليـة بذلك التزييف المستمد من فكرة تناسخ الأرواح .

لقد عمد هذا المحتال ـ كما قال بحق الناقد سامى خشبه ـ الى أن : « يضع ثقافتـه الخاصـة ، مكان ثقـافة كل شـخصياته . **ويضع فكره وعقله الخاصين ، مكان فكر كل شخصياته وعقولهـا .. والمؤلف يسوق أفكاره سوفا ، من وراء شخصياته التى تبـدو كالأقنعة أو المشجب حامل الأفكار ، نحو هدف محدد هو** : الى أى اتجاه ينبغى ـ ويمكن للمسـلمين الذين يخاطبهم فى الغرب أو فى أوطانهم ـ أن يتخذوه .. لقـد لملم سـلمان رشـدى كتابه : آيات شيطانية ، من ثلاث قصص طويلة لا يربط بينها رابط ما ، ووزع فصـول القصـص الثلاث توزيعا اعتباطيا تقريبا .. أما رشـدى ، المتواضع الموهبـة ، والفاقد الايمان بشىء أو بعقيدة محـددة ، فانه عجز عن أن يقيم من أكوام خيالاته ومعلوماته وتآليفاته ، وما نقله عن المصـادر المختلفـة وألبسه كساءا خياليا رديئا ومفتعلا ، عجز عن أن يقيم من كل ذلك ، بناء فنيا موحدا ، ليس فقط لضعف موهبته ، وانما لأنه أراد أن يجمع بين ما لا يجتمع وهو : تصوره الذاتى عن تجربة اغتراب المثقف الشرقى (الهندى) عن هوية أمته ، وعن تجارب المسلمين المغتربين فى أوروبا (لنـدن) ، أو المقيمين فى وطنهم بومبـاى .. **ثم مجموعة الأكاذيب والمخترعات والاهانات ـ التى ألف بعضها بنفسه ـ والتى وجهها الى الاسلام وكتابه ورسوله** .. ويضمن السيد رشدى أن يسـتمر خلط

الأوراق بلا نهاية ، عندما يستخدم لتسمية الأشياء والظواهر ، أسماء متناقضة لحقيقة الأشياء والظواهر . حتى يتحقق التشويش المطلوب على الحلول العلمية الحقيقية ، الحلول التى تسعى اليها الشعوب الآن ـ فى الشرق والغرب على السواء ، بصرف النظر عن جهود البرابرة المعاصرين عندهم وعندنا ـ **الحلول التى تتلخص فى الديمقراطية والعقلانية اللتين تحفظان لكل شعب ، ولكل طائفة من شعب ، الحق فى سماته ـ او سيماتها الخاصة ـ فى اطار ثقافة انسانية عامة ، وثقافات قومية متمايزة ، مستنيرة ومثقفة بحقيقتها وبحقائق الثقافات الأخرى ، ومتخلصة من تعصباتها المتهوسة ، ومن الرغبة فى تلويث ثقافات الآخرين وتدنيس مقدساتهم ، ومتخلصة من الرغبة فى استخدام الابداع لنصب الفخاخ واشعال الحرائق »(١) .**

*

● **الأمكنة والأشخاص :**

ماهوند : يتيم ، سريع الخطى ، يتسلق الجبل الحار فى الحجاز ليبقى هناك شهرا فى وحدته . اذا نطق اسمه صحيحا فانه يعنى : ذلك الذى يجب أن يخص بالحمد ، لكنه يأخذ اسم ماهوند ، مرادفا لاسم الشيطان ! (ص ٩٣) .

بهذا يتحدث الدجال عن محمد بن عبد الله .

الجاهلية : بنيت كلها من الرمال ، ويأتى ماؤها من مجارى وينابيع جوفية ، واحدة منها تسمى **زمزم** وتقع فى قلب المدينة ، ملاصقة بيت **الحجر الأسود** .وفى هذه المدينة يؤسس ماهوند واحدة من أكبر ديانات العالم . ويهمس صوت فى أذنه : أى نوع من الأنكار أنت ؟ انسان أم فأر ؟! (ص ٩٤ ، ٩٥) .

---

(١) صحيفة الأهرام . فى ٥/٢٦ ، ١٩٨٩/٦/٢

فالجاهلية تعنى مكة •

يثرب : واحة فى شمال مدينة الجاهلية ، تتمتع بجو رطب ، انتقل اليها المهاجرون أتباع عقيدة الاسلام الجديدة (ص ٣٦٣) •

اتباع ماهوند فى مدينة الجاهلية : كان من أوائلهم : (خالد سقاء المـاء الحقير ، ثم ذلك المتسكع من فارس ويحمل اسما غريبا : سلمان ، ولتكملة هذا الثلاثى من حثالة المجتمع ، هناك العبد بلال الذى حرره محمد ، ثم حمزة عمه (ص ٩٥ ، ١٠١) •

اعداء ماهوند فى مدينة الجاهلية : أبو سمبل ، سيد الجاهلية ، وزوج هند الجميلة الرهيبة • وكانت عشيرة هند تتحكم فى معبد اللات وتتلقى عائدات معبدى مناة والعزى • كما كان بعل خادما للات وشاعر هجاء مشـهور •• وكان أبو سمبل ديوثا ، يعلم أن بعل عشيق لزوجه هنـد ، التى كانت شديدة النهم الجنسى حتى أنها ضاجعت كل مؤلفى مدينـة الجاهليـة ! (ص ٩٦ ، ١٠٠ ، ٣٦١) •

فأبو سمبل ، يعنى أبا سفيان ، وأما بعل شاعر الهجاء فهو اختراع من الدجال •

الحجاب : جعل الحجاب اسما لأشهر ماخور فى مدينة الجاهلية ، له فناء واسع تحيط به غرف الجنس •

(كم زوجة ؟ اثنا عشر ، وسيدة عجوز توفيت منذ زمن بعيد • وكم مومس فى المـاخور ؟ اثنا عشر ! ••

وكانت المومس عائشة ، ذات الخمسة عشر عاما ، أكثر العاملات رواجا ، تماما كما كانت سميتها مع ماهوند •• وكانت أكبرهن سـنا ، المومس البدينة سودة وكان لها زوار كثيرون •• أما المومس حفصة فكانت حادة الطبع مثل سميتها •• وكان المـاخور مرآة للجماعات السياسية فى مسجد يثرب • فكان هناك ، مثلا ، تحالف بين عائشة وحفصة ضـد

أم سلمة المخزومية ورملة بنت أبى سمبل • وكان هناك زينب بنت جحش وجويرية وصفية وميمونة ، ثم أكثرهن اثارة للشهوة الجنسية ، الفاتنة المصرية مارية القبطية ، التى رفضت أن تعلم عائشة ألاعيبها •

وعندما فكرت المومسات فى مستقبلهن ، رأين أن يكون لهن زوج صورى هو بعل •• **وفى هذا الوكر الداعر أصبح بعل زوجا لنساء رجل الأعمال السابق ، ماهوند !)** (ص ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣) •

لقد كبكب الدجال على وجهه ، وعبث بعقول قرائه ، كعادته فى طول الرواية وعرضها • فبعد أن انتحل لمومسات ماخوره أسماء زوجات النبى ، اذا به يعود بفجره المعهود ، فيجعل من بعل زوجا لنساء ماهوند ، بدلا من أن يحترم قراءه ، ولو مرة واحدة ، فيقول : زوجا لسميات نساء ماهوند !

﴿ ألا لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون • أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ، ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون • أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون • لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ﴾
(هود : ١٨ ــ ٢٢)

*

● **الألفاظ والتراكيب :**

تمتلىء هذه الرواية الشيطانية بأقذر الألفاظ وأشدها فحشا • وأغلبها مما يتداوله الزناة مع المومسات فى المواخير من مسميات وأوصاف • ونذكر فيما يلى بعضا منها ، نشير الى اللفظ المبتذل بحرف أو حرفين منه ، مما يتداوله السفلة من الناس :

ـ **فرج المراة** : كـ ، والجمع : أ كـ .

يتحدث الدجال عن أصغر مومس فى المـاخور فيقول :

(قبل تكميم أصغر الـ أ كـ ، صرخت قائلة ...)[1] .

ـ **ممارسة الجنس** : ن كـ .

قال أبو سمبل (أبو سفيان) لتابعه شاعر الهجاء بعـل : (أيها القواد ! أنا أعلم أنك .. ن ك امرأتى)[2] !

وصل خطاب لمحمود يقول :

(يا آكل الخراء ! انك .. ن ك امرأتى)[3] .

ويقول جبريل :

(أحلام ن كـ الأمهات سبب كل البلاء للجنس البشرى ..)[4] .

وفى مدينة الجاهلية :

(كان كل الحديث منصبا على الـ ن ك والمـال)[5] .

❋

ولقد امتلأت الرواية بالشتائم القذرة ، بدءا من صفحاتها الأولى حتى صفحاتها الأخيرة ، مثل :

(ابن الزنا) ... (أبناء الزنا)[6] .

❋

---

(١) (before the youngest cunt wus gagged , she yelled ...) (p. 389).

(٢) (Pimpl — I Know you fuck my wife.) (p. 100).

(٣) (shit - eater, you're fucking my woman) (p. 207)

(٤) (Mother - fucking dreams, cause of all the trouble in the human race ..) (p. 122)

(٥) (al the talk was of fucking and money) - (p. 380)

(٦) (Bastard.) .. (Bastards.) (pp. 3,8 .. 95, 105, 116 .. 367 , 376 ..) .

وامتلأت الرواية بتعابير مقززة ، لا تخرج الا من نفس قذرة تسبح دائما بفكرها فى المراحيض وأماكن القاذورات • ففى حديث الأم الهندية المسلمة لابنها ، قالت له :

(لا تصر قذرا مثل أولئك الانجليز ، فهم يمسحون استاههم بورق فقط) (ص ٣٩) •

فرد عليها الابن المنبهر :

(ان ما تقولينه ، يا أمى لا يمكن تصديقه • ان انجلترا حضارة عظيمة ، وما تقولينه هراء) •

(وكان يسيئه كثيرا أن يقارن بطفل يبول على نفسه) ••• (ص ٤٧) •

*

ويعبث الدجال الهندى بعقول قرائه ، فيستخدم أساليب ركيكة هازلة كأنه يحكى قصة للأطفال قبل النوم ، فيقول :

(كان ما كان فى قديم الزمان ••) (ص ١٤٣) •

ولما كان مؤلفا رديئا ، فاقد المواهب ، كان مثله كمثل تلميذ خائب ، تعلم جملة واحدة مفيدة ، كانت كل زاده ، فما انفك يستخدمها فى كل المناسبات دون تمييز •

ولما كانت عبارة : ألف ليلة وليلة ، ذات مذاق خاص ، فقد تشبث بها ، وبدأ يستنسخ صورا منها بلا وعى أو حساب ، فيقول :

(••• بسبب طيشه الذى مارسه ألف مرة ومرة) (ص ٢٦) •
(وفكر ألف مرة ومرة •••) (ص ٣٧٠) •
(وبعد مائة يوم ويوم •••) (ص ٨٥) •

ومثل ذلك ، حجم أوعيته الزمنية التى تؤكد ، حقا ، أنه كاتب ممل هزيل • فهو يقول فى صفحة ٣٩٢ :

(ولم تر مخلوقا حيا آخر ، طيلة سنتين وشهرين ..) .

ثم يكرر ذلك فى نفس الصفحة :

(وبقيت مدة سنتين وشهرين ..)

ويقول أيضا :

(وبعد مرور سنتين ويوما واحدا من بدء بعل لحياته فى ماخور الحجاب ..) (ص ٣٨٥) .

هذا بعض العار الذى ألحقه ذلك الكاتب التافه بلغة قوم شكسبير وبالأدب الانجليزى عامة ، وبجامعة كمبردج التى يقال انه تخرج منها ، على وجه الخصوص .

* *

تزييف الحقائق واختلاق الأكاذيب

ذلك دأب الدجال الهندى فى روايته الشيطانية ...

والحديث فى هذا يطول ، نكتفى منه بعرض أمثلة محدودة ، لهذا وذاك .

أولا ـ فمن حقائق التاريخ الاسلامى :

١ ـ أن خالدا كان بطل المشركين فى معركة أحد التى وقعت فى السنة الثالثة من الهجرة ، وانهزم فيها المسلمون وأصيب فيها النبى وشج فى وجهه . لقد كان ذلك بعد الهجرة الى المدينة ، حيث كان خالد ما زال على شركه . ولم يسلم خالد الا فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد عمرة القضاء ، حيث ترك مكة وذهب الى المدينة يعلن اسلامه أمام النبى .

٢ ـ أن حمزة كان بطل المسلمين فى معركة بدر الكبرى التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة ، حيث انتصر المسلمون وقتل فيها عتبة بن ربيعة ـ والد هند امرأة أبى سفيان (أبى سمبل ، فى الرواية) ـ كما قتل فى بدر الوليد بن عتبة ـ أخو هند ـ وشيبة عمها .

٣ ــ أن سلمان الفارسى كان قد تعرض لعملية اختطاف بيع على أثرها ليهودى من بنى قريظة بالمدينة ، فلما قدم النبى المدينة وسمع به سلمان ، أسلم على يديه • وقد أعانه النبى وصحابته على تحرير رقبته ، فأمدوه بالمال الذى أعتق به نفسه بعد سنين من اسلامه • وكان الرق قد حبسه عن حضور بدر وأحد ، فكانت غزوة الأحزاب أول مشاهده ، حيث أشار بحفر الخندق ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة • وقد عاش مسلما كريما وتوفى مسلما كريما بالمدائن فى خلافة عثمان •

ولقد اتخذ الرسول فى مكة كتبة يكتبون الوحى ، قبل اسلام سلمان بأكثر من ١٥ سنة ، كما استمروا يكتبون له بالمدينة ، ويزيد عددهم على ٢٠ كاتبا ، ليس منهم سلمان •

فما كان سلمان الفارسى يوما ما من كتبة القرآن •

❋

لكن الكاتب الجهول ، سلمان رشدى ، ما كان له الا أن يزيف تاريخا يجهله • فلو احترم نفسه مرة واحدة ، أو احترم قراءه ، لقرأ شيئا عن تاريخ صدر الاسلام ليستعين به على حبك روايته •

فمن جهالات الدجال الهندى :

١ ــ أن خالد وسلمان كانوا من أوائل المسلمين بمكة (مدينة الجاهلية) ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك •

٢ ــ وأن حمزة قتل أخا هند فى مكة عندما هاجم هذا الأخير مع زملاء له كلا من خالد وسلمان وبلال ، فأنقذ حمزة اخوته المسلمين من موت محقق (ص ١١٨) •

٣ ــ وأن سلمان كان الكاتب الرسمى للنبى (ص ٣٦٥) •

٤ ــ وأن النبى كان قد اشترى بلالا وأعتقه (ص ١٠١ ، ١٠٢) ، والصحيح أن أبا بكر هو الذى اشتراه وأعتقه •

٥ ــ وأنه عقب موت النبى ، خرجت عائشة من حجرتها تقول : (من كان قد عبد الرسول ، فليحزنوا ، لأن ماهوند (محمد) مات • ومن كان يعبد الله ، فليبتهجوا ، لانه حى لا يموت) (ص ٣٩٤) •

ثم يردف الدجال ، بعد ذلك ، قائلا : **(لقد كان هذا نهاية الحلم)** (حلم جبريل بموت محمد ــ ص ٣٩٣) •

والحقيقة أن أبا بكر هو الذى قال عقب موت الرسول : (أيها الناس ! إن من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات • ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) • ثم تلا قوله ــ تعالى ــ فى القرآن :

﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) •

* *

ثانيا ــ ومن حقائق الاسلام والتاريخ :

١ ــ أن الاسلام دين التوحيد الخالص الذى لا شبهة فيه ، وهو خاصيته الأولى التى يتميز بها • فأول العلم فيه : **﴿ لا اله الا الله ﴾ ــ ﴿ لا اله الا هو الرحمن الرحيم ﴾ ــ ﴿ انما الله اله واحد ﴾ ــ ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾(١)** ثم جاءت سورة الاخلاص ، من أوائل السور نزولا ، تقول : **﴿ قل هو الله احد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا احد ﴾** •

ولقد قال فيها رسول الله : **انها تعدل ثلث القرآن** •

*

٢ ــ وأنه بعد نزول أكثر من مائة آية ، موزعة فى عشر سور أغلبهن قصار ، فتر الوحى وطالت غيبة الأمين جبريل ، فجزع لذلك النبى

---

(١) هذه النصوص القرآنية تأتى على الترتيب من السور الآتية : محمد : ١٩ ، البقرة : ١٦٣ ، النساء : ١٧١ ، الحج : ٣٤ ، ... وغير ذلك فى **مئات الآيات** •

جزعا شديدا ، وأرجف المشركون بذلك وفرحوا بهذا التوقف • بعد ذلك نزلت سورة الضحى فى احدى عشرة آية ، يقول أولها :

﴿ **والضحى والليل اذا سجى • ما ودعك ربك وما قلى ...** ﴾ ثم تتابع الوحى •

لقد كان ذلك برهانا ، لمن يريد البرهان ، على أن القرآن ليس من عند محمد • فاذا كان قد اختلق أكثر من مائة آية ، فما يمنعه أن يختلق آيات أخرى ، بدل هذا التوقف النجائى ، والتعرض لحرب دعائية شرسة يشوش بها الكفار على فكر المسلمين الأوائل وعقيدتهم •

كذلك توقف الوحى مرة أخرى بعد ذلك فترة تعرض فيها الرسول لحرج شديد ، وعانى بسبب ذلك الكثير • ثم ما لبث أن عاد ، وقد علم الله نبيه أن نزول الملائكة (**بالروح من أمره**) على رسله لا يتم الا بأمر الله ، وليس وفق مشيئة الرسول وهواه •

﴿ **وما نتنزل الا بأمر ربك ، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا** ﴾ (مريم : ٦٤) •

وما أمر محمد رسول الله ، بعجب فى هذا • فمن قبل طلب بنو اسرائيل من النبى ارميا أن يخبرهم (عن الطريق الذى يسيرون فيه والأمر الذى يفعلونه) • « فقال لهم ارميا النبى : قد سمعت • ها أنذا أصلى الى الرب الهكم •• ويكون أن كل الكلام الذى يجيبكم الرب أخبركم به ••

وكان بعد عشرة أيام أن كلمة الرب صارت الى ارميا ـ ارميا ٤٢ : ٤ ، ٧ » •

لم يكن هذا السؤال فى حاجة الى تأخير اجابته ولو ثانية واحدة من الزمن ؛ لكنه أمر الله ، يتنزل الوحى بمشيئته ، وليس بمشيئة البشر ؛ ولو كانوا أنبياءه المصطفين الأخيار •

*

٣ ــ وأنه منذ بدأ الرسول دعوته الى الله ، دخل فيها الأقوياء والأغنياء ، كما دخل فيها الضعفاء والفقراء • فلقد كانت عقيدة التوحيد الخالص هى نقطة الجذب وسبب التحول ــ قبل أى اعتبار آخر مثل الدعوة الى المساواة بين الناس ، وتحرير الأنفس من ضلالات الجاهلية وفعل الخيرات ــ لذلك كان من أوائل المسلمين : أبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، كما كان فيهم زيد بن حارثة وبلال وعبد الله بن مسعود • لقد استهوى الاسلام الأقوياء والضعفاء على السواء •

*

٤ ــ ولما بدأت قريش تحس بالدين الجديد الذى يخالف دين آبائهم ويسب آلهتهم وأصنامهم ، بدأت تحتك بالمسلمين فى محاولات لصدهم عن دينهم • فكان الأذى والتعذيب الذى تعرض له الرسول شخصيا على يد عمه أبى لهب وزوجه أم جميل ــ أخت أبى سفيان ــ كما تعرض له أتباعه وخاصة الضعفاء مثل بلال الحبشى الذى كان يلقى على صخر مكة الملتهب فى حر الظهيرة ، ويدمى جسده بالسياط ، وتوضع صخرة على صدره ، فلا يقول سوى : أحد • أحد •

لم يصرخ بلال الى ربه قائلا : يا ناصر المستضعفين أجرنى ، أو : يا أرحم الراحمين خفف عنى ، انما كان ترديده : أحد أحد •

فهو يصر ، تحت وطأة العذاب الشديد ، أن يعلن ايمانه بالله الواحد •

كذلك تعرض آل ياسر ، من المستضعفين ، لتعذيب شديد ، هلك فيه ياسر الزوج ، وهلكت فيه سمية الزوجة بعد ضرب وحشى بالسياط ، وكى بالنار ، وهى تصر على توحيدها حتى استشهدت بطعنة من حربة فى فرجها •••!

لقد كان الصراع شديدا ، لا مهادنة فيه • فكانت سورة المسد

من أوائل السور نزولا ــ رقم ٦ ــ والمسلمون يومئذ أعداد محدودة جدا . لكنها نزلت تترعد أبا لهب عم الرسول وزوجه ، وتقرر مصيره الأبدى ، فتقول :

﴿ تبت يدا ابى لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد ﴾ .

ان هذا هو التحدى الحق ...

لقد دخل آلاف من المشركين فى الاسلام بعد هذه السورة ، وكان يمكن لأبى لهب أن يعلن قبوله الاسلام ، ولو كيدا له ، حتى يبطل هذه السورة التى تداولها الناس : مسلمون ومشركون ، منذ نزولها ، فيكون ذلك مدعاة لاحداث بلبلة فى نفوس المؤمنين ، وصد للمشركين عن الدخول فى الاسلام .

لكنه لم يفعل ، لأنه قضاء الله عليه ، ونبوءة حق نطق بها القرآن كلام الله الحق . فكان أن هلك على شركه عقيب غزوة بدر .

❋

٥ ــ ولما رأى المشركون أن الاسلام ينتشر بين الناس ، لجأوا الى المداهنة ، ومحاولة الوصول الى حل وسط يعترف بآلهتهم على أى صورة من الصور . ولقد كان تعليم الله لنبيه بالحذر من ذلك ، فى سورة القلم ، ثانية السور نزولا :

﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .
(الآيتان : ٨ ، ٩) .

ثم كانت (سورة الكافرون) قاطعة فى هذا الصدد :

﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ .

❋

٦ ــ ثم كانت سفارات الى عمه أبى طالب ، الذى لم يكن قد دخل فى الاسلام ، وان ظل حاميا لابن أخيه ، يحسب له القرشيون حسابا خاصا • فقد مشى اليه رجال من أشراف قريش فيهم : (عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، وغيرهم • فقالوا : يا أبا طالب • ان ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا • فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه • وانك على مثل ما نحن عليه من خلافه •

فقال أبو طالب قولا رقيقا ورد ردا جميلا ، فانصرفوا عنه) •

ومضى رسول الله يدعو الناس الى دين الله دون توقف •

ولم تيأس قريش ، فمشوا الى أبى طالب قائلين : ما نحن ــ يا أبا طالب ، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك ــ بتاركى ابن أخيك على هذا ، حتى نهلكه ، أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسب آبائنا ، وعيب ديننا ، فان شئت فاجمع لحربنا • وان شئت فدع • فقد أعذرنا اليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك • فانظر فى أمرك ، واقض الينا قضاءك) •

فبعث أبو طالب الى النبى ، وقال له : (يابن أخى ، ان القوم جاؤونى فقالوا كذا وكذا •• وآذنونى قبل الحرب • فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت • واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم) •

فظن رسول الله أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال : (يا عم ، لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركت الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فى طلبه) •

ثم بكى رسول الله ، ونهض من مجلسه • فقال له أبو طالب : (أقبل يابن أخى) ، فأقبل عليه ، فقال أبو طالب : (امض على أمرك ، وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشىء أبدا) •

ثم لم يلبث حمزة ــ عم الرسول ــ أن أسلم ، فعز به المسلمون • فهو من خير رجالات بنى هاشم ، شكيمة وعزة نفس ، اذا طلب أمرا ، قصده لا يلوى على شيء حتى يبلغه • كما عرف بين عشيرته بأنه صياد الأســـود •

وهكذا ازداد المسلمون قوة وعددا •

*

٧ ــ ولم تيأس قريش ، فأرسلوا الى النبى سيدا من ساداتهم هو عتبة بن ربيعة • فذهب اليه وقال : (يابن أخى ، انك منـا حيث قـد علمت •• وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم • فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها • لعلك أن تقبل منها بعضها)•

فقال الرسول : (قل يا أبا الوليد ، أسمع) •

فقال : (يابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت من هـذا القول مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا • وان كنت انما تريد شرفا ، شرفناك علينـا حتى لا نقطع أمرا دونك • وان كنت تريد ملكا ، ملكناك • وان كان هـذا الذى يأتيك رئيـا (من الجن) تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفســك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيـه أموالنا حتى نبرئك منه) •

حتى اذا فرغ عتبة ، قال رسول الله : (أفرغت يا أبا الوليد) ؟

قال : نعم • قال : فاستمع منى • قال : أفعل •

فقـال رســول الله : **« بسم الله الرحمن الرحيم • حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • كتـــاب فصلت آياته قرآنا عربيـــا لقوم يعلمون »** • ومضى رسول الله يقرأ عليه سورة فصلت حتى اذا بلغ موضع السجدة ــ فى الآية رقم ٣٨ ــ فسجد • ثم قال : (قـد سـمعت يا أبا الوليـد ما سمعت ، فأنت وذاك) •

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به • فلما جلس اليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

فقال : (ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعت لمثله قط • والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة • يا معشر قريش : أطيعونى واجعلوها بى • خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ••) •

قالوا : (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه) •

فقال : (هذا رأى لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم) •

لم يعرف النبى المداهنة طيلة حياته ، فكان فى الحق صريحا واضحا يغضب لله ، ويرضى لمرضاته • وما كان فى أمر العقيدة ، جوهر الدين وأساسه ، ليرضى بغير التوحيد النقى •

فى ديانات أخرى ، قبل دعاتها حلولا وسطا فى أمور جوهرية ، أما فى الاسلام ، فكلا ، وألف كلا •••

فها هو بولس ــ منشىء المسيحية التقليدية ــ يقول فى رسائله : « استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين • فصرت لليهود كيهودى ، لاربح اليهود •

وللذين تحت الناموس ، كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس •

وللذين بلا ناموس ، كأنى بلا ناموس •• لأربح الذين بلا ناموس •

صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء •

صرت للكل كل شىء ، لأخلص على كل حال قوما •

وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه ــ ١ ــ كورنثوس ٩ : ١٩ ــ ٢٣ » •

فالغاية تبرر الوسيلة ؛ حتى فى أمور الدين ، حسب قوله : « ان كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده ، فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء ــ رومية ٣ : ٧ » .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن أسلم ، فعز به المسلمون كثيرا . لقد فت اسلام عمر فى عضد قريش ، اذ دخل فى دين الله بالحمية التى كان يحاربه بها من قبل . فلم يخف اسلامه ولم يستتر ، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم فى سبيله . ولم يرض عن استخفاء المسلمين وذهابهم الى شعاب مكة يقيمون الصلاة فيها بعيدين عن أذى قريش ، بل دأب على تحديهم حتى صلى عند الكعبة والمسلمون معه . وأيقنت قريش أن ما تنال به النبى وتابعيه لن يحول دون انتشار الاسلام .

*

٨ ــ كان العرب أهل فصاحة وبيان ، استثمروهما فى حرب دعاية جبارة استخدمت فيها شتى الأساليب من هجاء بالشعر ، وافتراء للأكاذيب ، وتشويش على المسلمين وخاصة عندما كانوا يصلون بالكعبة ، فيرفعون أصواتهم حين تلاوة القرآن ، حتى يدخلوا عليه ، فى أذن السامع ، ما ليس منه . لقد كان ذلك دأبهم منذ ظهور الاسلام . فلقد جاء فى سورة فصلت ، التى قرأها الرسول على عتبة بن ربيعة ــ أبى الوليد ــ حين ذهب اليه فى سفارة لقريش ، ما قصه الله من حرب الدعاية التى استخدمها الكفار للتشويش على القرآن فى قوله : **﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾** (فصلت : ٢٦) .

وفى هذا قال ابن كثير : « الغوا فيه ، يعنى بالمكاء والصفير **والتخليط فى المنطق على رسول الله** ﷺ اذا قرأ القرآن ؛ قريش تفعله »

وقال الفخر الرازى : « قال بعضهم لبعض : (**لا تسمعوا لهذا** القرآن ، اذا قرىء وتشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخلطوا على القارىء

وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته • كانت قريش يوحى بذلك بعضهم بعضا • والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا ، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس ، فهذا الطريق تغلبون محمدا » •

وقوله ، تعالى : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ (الأنفال : ٣٥) •

وقد نقل ابن كثير عن مجاهد قوله : « كان يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبى ﷺ صلاته • وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين • وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد : تصدية ، قال : صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل » •

ولقد حاول المشركون ، فى حياة الرسول وبعد مماته ، أن يقولوا كلاما ، يحاولون أن يجعلوه سيارا على الألسن المشركة ، تلوكه لعله يضاهى القرآن ويتغلب عليه • ومن أمثلة ذلك ما قاله مسيلمة الكذاب : (يا ضفدع يا ضفدعين • نقى ما تنقين • لا الماء تكدرين • ولا الشارب تمنعين) ••• الى آخره ، من مثل هذا الهذر والهراء •••

*

٩ ــ ان اختراع الأقوال المكذوبة شىء تعرضت له الأديان • فبالنسبة للجزء الأول والأكبر من **الكتاب المقدس** ، الذى يعرف باسم العهد القديم ، نجد أن هناك ١٤ سفرا منحولا ، تسمى **الابوكريفا** اعتبرها اليهود والبروتستانت مزورة ، ورفضوا ادخالها فى كتابهم ، بينما قبل الكاثوليك ، وكذلك الأرثوذكس ، سبعة من هذه الأسفار أدخلت فى الكتاب المقدس تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية • كذلك فان الجزء الثانى والأصغر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد الجديد ، فانه يتكون حاليا من ٢٧ كتابا لم تحظ بالاجماع على شرعيتها الا عام ٣٦٧ م ، أى بعد أكثر من ٣٣٥ سنة من رفع المسيح •

وتتصدرها أربعة أناجيل فقط ، بعد استبعاد عشرات الأناجيل مثل : انجيل توما ، وانجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل العبريين ، وانجيل فيلبس ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل برنابا ... الخ .

كذلك تحتوى على ٢٣ رسالة بعد استبعاد عشرات الرسائل مثل : رسالة برنابا ، ورسالتا كليمنت الأولى والثانية ، ورسالة بوليكارب ، ورسالة اجناتيوس ، وتعاليم الاثنى عشر ، ورؤيا بطرس ، وراعى هرمس ... الخ .

وجدير بالذكر أن الرسالة الى العبرانيين ، وهى احدى الرسائل القانونية ، لا يعرف لها كاتب حتى الآن ، حيث تظهر غفلا من اسم كاتبها فى طبعات البروتستانت . أو الكاثوليك ، فقد أراحوا أنفسهم من عناء البحث عن المؤلف ، واعتبروها من مؤلفات بولس ، رغم الجدل الشديد حول هذا الموضوع .

*

١٠ ــ أن رسول الله ﷺ اتخذ كتبة عديدين يكتبون القرآن فور سماعه منه . وأنه كان يذاغ فور نزوله أولا بأول بدليل أن سورة المسد ، التى تتوعد أبا لهب وامرأته بالعذاب ، كانت من أوائل السور نزولا وتداولا بين الناس ، حتى انها بلغت أبا لهب وامرأته ، فقالت هذه لأبى بكر : (هجانا صاحبك) . فقال أبو بكر : (لا ورب هذه البنية (المسجد) . ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به) .

ولقد نزل القرآن مفرقا على مدى ٢٣ سنة ، فى آيات متواليات يسهل حفظها واستيعابها . وكان يستخدم فى الصلاة وفى أغلب المعاملات ، كما كان سببا رئيسيا للتفاضل بين الصحابة ، فأكثرهم حفظا له ، أفضلهم منزلة .

أما أحاديث الرسول ، فقد نهى عن تدوينها لقوله : « **لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه** » (رواه مسلم) .

ولم يرض عمر بتدوين السنة فى كتاب جامع مثل القرآن ، كما

كان ينهى عن شغل الناس بكثرة الحديث ، بدلا من القرآن • واستمر الوضع كذلك حتى جرت ألسنة الناس بأحاديث كثيرة فيها من الصدق ما يتفق والقرآن العظيم ، وفيها غير ذلك • فكان ان أمر الخليفه الورع عمر بن عبد العزيز بأول تدوين رسمى للسنة • وكان ذلك فى بدايه القرن الثانى الهجرى • فظهرت أولى المصنفات فى نحو منتصف ذلك القرن •

لقد كذب كثير على رسول الله ، ونسبوا له احاديث وروايات مكذوبة ويكفى أن نعلم أن البخارى (١٩٤ ــ ٢٥٦ هـ) قد أخرج كتابه المعروف باسم : الجامع الصحيح ، أو صحيح البخارى ، من زهاء ٦٠٠ر٠٠٠ حديث ، صفاها ، وفق شروطه ومعاييره التى وضعها ، الى ٧٣٩٧ حديثا بالمكرر ، وبدون المكرر تكون الأحاديث الموصولة فقط ٢٦٠٢ حديثا • وقد استغرق هذا العمل الضخم ١٦ سنة فى رحلات وأسفار بين البلاد الاسلامية ليتتبع أحاديث رسول الله من كل من سمع أن له صلة بالحديث •

*

١١ ــ ابتلى المسلمون بظهور الزنادقة الذين عمدوا الى تزييف الأحاديث النبوية ، وأسندوها كذبا الى الثقات من الصحابة والتابعين • وامتدت أيديهم العابثة الى كتب الفقه والتفسير ، وهاجموا الأديان عموما ، ومن بينها الاسلام ، كما أنكروا الوحى الى أنبياء الله ورسله ، وقالوا بأن العقل الانسانى هو حلقة الاتصال بين المرء وربه • وكان فى تعاليمهم مجون وخلاعة ودعوة للمحرمات • ولما اشتد خطرهم ، أنشأ المهدى ــ ثالث الخلفاء العباسيين ــ ديوان الزنادقة ، لتتبع أنشطتهم وما يبثونه بين الناس • وكان من أخطرهم : عبد الكريم بن أبى العرجاء ، الذى اعترف قبل موته بأنه وضع ٤٠٠٠ حديث •

ونكتفى بمثال واحد لخرافاتهم : خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره !

*

١٢ ــ كان اليهود يعثرون بالمسيح ، فقال لهم : « **ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته . ولم يقدر ان يصنع هناك ولا قوة واحدة** ــ مرقس ٦ : ٤ ــ ٥ » .

ان هذه قولة حق ، انطبقت على كل الأنبياء المعروفين . ولقد عانى المسيح من أهله ، ما هو أكثر من عدم التكريم ، فقد كان أقرباؤه يعتبرونه **مختل العقل** :

« ولما سمع أقرباؤه ، خرجوا ليمسكوه ، لأنهم قالوا انه **مختل** ــ مرقس ٣ : ١ » .

وكان اخوته ــ أبناء أمه مريم حسب رواية الانجيل ــ يشكون فى صدق رسالته : « قال له **اخوته** : انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضا الأعمال التى تعمل .. **لان اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به** ــ يوحنا ٧ : ٣ ــ ٥ » .

وحين سمع كثير من تلاميذه بعض مواعظه ، فانهم انفصلوا عنه وتركوا صحبته . شكا فيه . فلم يبق معه الا الاثنى عشر : « قال كثير من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب .. **من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه** .

فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ــ يوحنا ٦ : ٦٠ ــ ٦٧ » .

ثم كانت صدمته كبيرة فى أن الخائن الذى تآمر عليه مع شيوخ اليهود ، كان تلميذه الذى توسم فيه الأمانة ، فجعله **امينا للصندوق** . ذلك هو يهوذا الأسخريوطى (يوحنا ١٣ : ٢٩) .

حتى اذا ما جاءت ساعة المحنة وأحس المسيح بالخطر يتهدده : « **حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا** ــ متى ٢٦ : ٥٦ » .

وبخصوص ما تقوله المسيحية عن قيامة المسيح من الأموات

وظهوره لمريم المجدلية ، كان تلاميذه أول المرتابين . « فلما سمعوا أولئك أنه حى ، وقد نظرته ، **لم يصدقوا** .

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم .. وذهب هذان وأخبرا الباقين ، **فلم يصدقوا ولا هذين** ـ مرقس ١٦ : ١١ ـ ١٣ » .

« **فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ، ولم يصدقوهن** ـ لوقا ٢٤ : ١ »

لقد ابتلى المسيح فى تلاميذه من أول يوم ، ولهذا كان يوبخهم لقلة فهمهم وقساوة قلوبهم ، بل انه كثيرا ما كان يشتمهم . وفى هذا يقول الانجيل :

« لم يفهموا بالأرغفة ، **اذ كانت قلوبهم غليظة** ـ مرقس ٦ : ٥٢ ».

« ولما دخل من عند الجمع الى البيت سأله تلاميذه عن المثل . فقال لهم : **افأنتم أيضا هكذا غير فاهمين ؟!** ـ مرقس ٧ : ١٧ ـ ١٨».

« **الا تشعرون بعد ولا تفهمون . أحتى الآن قلوبكم غليظة ؟! الكم أعين ولاتبصرون ؟! ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون ؟! .. كيف لا تفهمون ؟!** ـ مرقس ٨ : ١٧ ـ ٢١ » .

« **ووبخ عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم** ـ مرقس ١٦ : ١٤ » .

كذلك عانى محمد رسول الله من أهله ـ وعلى رأسهم عمه أبو لهب ـ ومن عشيرته والمشركين . لقد حاربوه بالقول والفعل ، وبكل سلاح استطاعوه . وكان من أمثلة مفترياتهم عليه ما قالوه :

فى الجنون والشعر : ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون ﴾ (القلم : ٥١) .

﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (الصافات : ٣٥ ـ ٣٦) .

وفى افتراء القرآن وتاليفه كذبا على الله ﴿ وقال الذين كفروا ان

هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا ﴾ (الفرقان : ٤ ــ ٥)

﴿ بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ (الأنبياء : ٥)

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) .

﴿ أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ﴾ (الطور : ٣٣ ــ ٣٤) .

وفى السخرية من النبى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (الزخرف : ٣١) .

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . افترى على الله كذبا أم به جنة ﴾ ؟! (سبأ : ٧ ــ ٨)

لقد كان ما تعرض له محمد رسول الله فى الحرب الدعائية الشرسة ، استمرارا لما تعرض له اخوته السابقون من رسل الله :

﴿ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ﴾ (الذاريات : ٥٢ ــ ٥٣) .

لكن الله ــ جلت حكمته ــ عوض رسوله بصحابة كانوا نعم الرجال : رجال الله ، سواء الذين أسلموا فى فجر الدعوة ، أو الذين لما زالت عن عيونهم غشاوات الجاهلية والعصبية ، دخلوا فى دين الله باخلاص وحمية .

لقد شهدت لهم نبوءات التوراة ــ ولا تزال ــ بانهم قديسون .

فهذه نبوءة موسى فيهم وفى نبيهم ــ محمد رسول الله ــ تقول ، حسب ترجمة البروتستانت :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من **جبل فاران** .

وأتى من **ربوات القدس** وعن يمينه نار شريعة لهم .

فأحب الشعب . **جميع قديسيه فى يدك ، وهم جالسون** عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك ــ تثنية ٣٣ : ٢ ــ ٣ » .

واذا رجعنا الى **نسخة الملك جيمس** نجد ترجمة الفقرة التى تتحدث عن **(ربوات القدس)** وما بعدها تعطينا صورة أوضح ، اذ تقول : « **وجاء مع عشرة آلاف (١٠،٠٠٠) من القديسين** . ومن يمينه خرجت شريعة ملتهبة لهم »[1] .

أما العبارة التى تقول : **(أحب الشعب)** ، فنجدها فى التراجم الفرنسية تتكلم عن حب الله للشعوب ، أى للناس أجمعين ، وليس شعبا واحدا ، التى جرت العادة ، فى مثل تلك الحال ، أن يفهم أنه الشعب الاسرائيلى ، فالفرق كبير بين هذا وذاك . فهذه التراجم تقول : **(اجل ، انه يحب الشعوب)**[2] .

وأما قولهم : **(يتقبلون من اقوالك)** ، فهى فى نسخة الملك جيمس : (وكل واحد سيتلقى من أقوالك) .

وهناك اجماع بين التراجم على أن هذه الفقرة من سفر التثنية ، لها علاقة بفقرة أخرى فى سفر حبقوق ٣ : ٣ ، سنتعرض لها فيما بعد .

---

(١) (and he came with ten thousands of saints : from his right hand went a fiery law for them).

(٢) (Oui, il aime les peuples) . (L. S.)

والآن ننظر فى هذه النبوءة ، كما جاءت فى سفر التثنية مع الأخذ فى الاعتبار ما تقوله مختلف التراجم ، نجد أن :

مجيء الرب من سيناء يشير الى رسالة موسى ، حيث ناداه الله فى البقعة المقدسة .

واشراق الرب من سعير ، يشير الى رسالة المسيح عيسى ، حيث تمتد سعير جنوب البحر الميت ، شرق فلسطين ، وحيث اعتزل المسيح نحو ١٨ عاما مع طائفة من أهل التقوى والورع يعرفون باسم : الأسينيين .

وأما تلألؤ الرب من جبل فاران ، فهو اشارة الى رسالة محمد الذى جاء من ذرية اسماعيل بن ابراهيم . فلقد سكن اسماعيل فى « برية فاران ــ تكوين ٢١ : ٢١ » .

وكان « بنو اسماعيل .. اثنا عشر رئيسا ، حسب قبائلهم .. **وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر** ــ تكوين٢٥ : ١٦ ــ ١٨».

هذا ، ولقد دخل محمد مكة فى السنة الثامنة من الهجرة فى **١٠٫٠٠٠ من اصحابه ، القديسين** كما تقول نبوءة موسى . دخلوها بسلام لهم ولأهلها . فلما دخل المسجد الحرام طاف بالكعبة وسجد لله شاكرا ، ثم دعا القرشيين وقال لهم : (يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم) ؟

قالوا : (خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : (فاذهبوا ، فانتم الطلقاء) .

ثم أتم رسول الله فى أول يوم لفتح مكة ، ما استمر يدعو اليه طيلة ٢٠ سنة ، وما حاربته مكة بصاديدها أشد الحرب فيه . فقد طهر المسجد الحرام من الأصنام وقضى تماما على الوثنية .

هذا ، ونجد اشارة أخرى الى جبل فاران ، جاءت فى نبوءة حبقوق

التى أشارت اليها مختلف التراجم ، كما ذكرنا سلفا • فهى تقول : **« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران • سلاه •**

جلاله غطى السموات • والأرض امتلأت من تسبيحه ـ حبقوق ٣ : ٣ » •

ان المسلمين هم الوحيدون بين المؤمنين بالله ورسالاته ، الذين يملأون الأرض تسبيحا ، خمس مرات على الأقل كل يوم فى الأذان للصلاة ، حيث يهتفون قائلين : **الله اكبر** • ثم يعلنون شهادة الحق الكبرى وهى : **لا اله الا الله** •

وان مكة لهى المدينة المقدسة الوحيدة التى قضى الله ـ جلت حكمته ـ ألا يدخلها مشرك نجس • فوجب على المسلمين أن يحافظوا على طهارتها هذه ، فذاك قضاء الله فى كتب النبيين ، كما هتف به أشعياء الذى جاء بعد موسى بستة قرون ، فقال نبوءة عن **البرية** ، بلاد العرب المقفرة الجدباء ، جاء فيها : **« تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس •• هو ذا الهكم • الانتقام يأتى • جزاء الله • • وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة • لا يعبر فيها نجس بل هى لهم ـ** أشعيا ٣٥ : ١ ـ ٨ » •

ولقد كان قضاء الله فى القرآن العظيم :

﴿ يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ (التوبة : ٢٨) •

حقا ، لقد عوض الله رسوله بصحابة عظام ، قادهم فى جيش من ١٠،٠٠٠ قديس ، كان كل منهم ـ كما تقول نبوءة التوراة ـ **(يجلس عند قدمى النبى يتلقى من أقواله)** •

*

١٣ ـ **أما ما ابتلى به النبى حقا ، فهم أولئك الرواة ، ووضاع الحديث ، وغير قليل من كتاب السيرة ، الذين انشغلوا بجمع الروايات**

والأخبار بما فيها من غث وسمين ، دون نقد أو تمحيص • فكان الواحد من هـــؤلاء (كالبلدوزر) ، يكتسح فى مجرفته كل ما يصادفه : التبر مع التراب ••• لا فرق •

لقد رأينا سلفا[1] بعض ما أورده محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى ســنة ٣١٠ هـ من روايات متناقضة فى قصة النبى وزيد بن حارثة وزينب بنت جحش • ونعرض الآن أمثلة أخرى لرواياته المتناقضة فى الموضوع الواحـــد •

(أ) الذبيح ابن ابراهيم :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لمـا جاء فى سورة الصـافات عن الذبيح ابن ابراهيم : « اختلف أهل التأويل فى المفـدى من الذبح من ابنى ابراهيـم ، فقال بعضهم : هو اسحق . ذكر من قال ذلك : حدثنا أبو كريب ••• ••• عن العبـاس بن عبد المطلب : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ ، قال : هو اسحق •

حدثنى الحسـين بن يزيد بن اسـحق ••• ••• **عن ابن عباس** ، قال : الذى أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق » •

ثم ذكر روايات أخرى كثيرة بهدا المعنى وعلى هذا المنوال •

ولمـا جاء للحديث عن نقيض ذلك قال : « **وقال آخرون : الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم ، اسماعيل** ذكر من قال ذلك :

حدثنـا أبو كريب واسـحق بن ابراهيـم بن حبيب ••• ••• **عن ابن عمر** ، قال : الذبيح اسماعيل •

حدثنـا ابن بشـا قال ثنا ســفيان ••• ••• **عن ابن عباس** : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ ، قال : اسماعيل •

حدثنا ابن حميد ••• ••• **عن ابن عباس** ، قال : الذى أمر بذبحه ابراهيم ، اسماعيل » •

ثم ذكر عدة روايات أخرى ، تنتهى الى **ابن عباس** أيضـا ، بهـذا المعنى وعلى هذا المنوال •

---

(١) راجع ص ٧٠

انه تناقض يدعو الى السخرية حقا ...

أين التمحيص العلمى لهذه الروايات المتهالكة ، التى تذكر مرة أن الذبيح ابن ابراهيم هو : اسحق ، ثم تذكره مرة أخرى بأنه : اسماعيل • **وأكثر من هذا ، فان اغلب هذه الروايات تنتهى الى شخص واحد ، هو ابن عباس ...!**

سبحان الله !

ما هذا أيها الرواة والمحدثون وكتاب السيرة ؟! ••

نحن ، حقا ، أمام عمل من طراز (**البولدوزر**) ...

لقد كفانا **الطبرى** اللجاجة فى هذه الحقيقة التى ذكرناها عنه • **فالاعتراف سيد الأدلة** ، كما قلنا من قبل ، عند الحديث عن رواياته المتناقضة فى موضوع زينب بنت جحش ، وما نذكر القارىء ببعض ما قاله :

ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ، أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه •• انما هو ما رويت من الأخبار •• دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس •• فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه •• مما يستنكره قارؤه •• من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا •

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

أن هذا يعنى ، بوضوح ، أن كتب التفسير والسيرة لم تسلم من روايات فيها كذب واختلاق • وهذه تحتاج الى تمحيص علمى لبيان الحقيقة فى كل موضوع • ويترتب على ذلك أننا أمام قاعدة أصولية لا بد من التسليم بها ، وهى :

ان كتب التفسير والسيرة النبوية ليست حجة على الاسلام ونبيه

على أن هذا التناقض فى الروايات عن اسماعيل واسحق ، باعتبار أن كلا منهما كان هو الذبيح ابن ابراهيم ، ليذكرنا بذلك التناقض فى الروايات الخاصة بتحول بولس من اليهودية الى المسيحية •

ففى الرواية التى ذكرها لوقا ، كاتب سفر أعمال الرسل ، فى الاصحاح التاسع منه ، نجده يقول :

« وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء • فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى • فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع ••

اما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : **يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدا** ـ أعمال الرسل ٩ : ٣ ـ ٧ » •

بينما يقول ذات السفر ـ أعمال الرسل ـ فى الاصحاح الثانى والعشرين على لسان بولس نفسه :

« أبرق حولى من السماء نور عظيم • فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ••

والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى ـ أعمال الرسل ٢٢ : ٦ ـ ٩ » •

لا يمكن قبول الروايتين معا ، فلا بد من نبذ واحدة منهما على الأقل •••

* *

(ب) حديث الغرانيق :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لما جاء فى سورة الحج من قول الله :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (الحج : ٥٢) ، قيل ان السبب الذى من أجله أنزلت

هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه فى بعض ما يتلوه مما أنزله الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .

ذكر من قال ذلك : حدثنا القاسم ... .. عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس ، قالا : جلس رسول الله ﷺ فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شىء فينفروا عنه . فأنزل الله عليه : ﴿ والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ ... فقرأها رسول الله ﷺ حتى اذا بلغ : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ، (النجم : ١ ــ ٢٠) ألقى عليه الشيطان كلمتين :

تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى .

فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد فى آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ..

فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين . فقال رسول الله ﷺ : افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل ! فأوحى الله اليه :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ ــ ٧٥) .

فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ... ﴾ ــ الآية (الحج : ٥٢) .

حدثنا ابن حميد ... ... عن محمد بن كعب القرظى ، قال ...

تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن ترتضى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ... ... عن ابى العالية ، قال ...

تلك الغرانيق العلى . وشفاعتهن ترتجى . مثلهن لا ينسى .

حدثنا ابن المثنى ... ... عن ابى العالية ، قال ...

وهى الغرانقة العلى . وشفاعتهن ترتجى .

حدثنى محمد بن سعد ... ... عن ابن عباس : قال ....

ان تلك الغرانيق العلى . منها الشفاعة ترتجى .

حدثنى يونس ... ... عن عبد الرحمن بن الحرث : قال ...

ومناة الثالثة الأخرى . ان شفاعتهن ترتجى ... ... » .

هذا ــ ولسوف نناقش هذه الأقاويل والروايات ، ونعالجها من مختلف الوجوه فى نقاط متسلسلة ، ملتزمين بقاعدة أصولية ، يطبقها الناس فى مختلف قضاياهم فى المحاكم أو فيما بينهم كل يوم ، قاعدة تقول :

كل ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

وأول هذه الوجوه ، هو ما كان وفق قواعد المنطق البسيط ، الذى يعالج الموضوع باعتباره مجرد قضية كلامية ، لا تحتاج الى خلفية علمية تتعلق بالاسلام وكتابه ونبيه وتاريخه .

فمن المعطيات التى اتفقت عليها هذه الروايات المتعددة :

ــ أن النبى قرأ سورة النجم **كلها** على جمهور كثير من **المسلمين والمشركين** .

ــ وأن هناك كلمات كفر أدخلت بين آيات السورة عقب الآية التى تقول : « **ومناة الثالثة الأخرى** » .

ــ وأن تلك الكلمات عددها قليل ، بوجه عام ، لا يتعدى سطرا

واحـدا فى الكتـابة • فالنص الأصـغر ، وهـو السـادس والأخير ، الذى بدأ بيونس ، لا يتعدى ثلاث كلمات تقول : ان شفاعتهن ترتجى •

بينما النص الأكبر ، الذى بدأ بابن عبـد الأعلى ، يصـل الى سبع كلمات •

فلنبدأ الآن مراجعة هذا الموضوع من مختلف الوجوه •

*

(١) من مراجعة النصوص الستة لكلمات الكفر يتبين أن :

ـ بعضها استخدم لفظ : الغرانيق (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) •

ـ وبعضها استخدم لفظ : الغرانقة (رقم : ٤) •

ـ والبعض لم يستخدم أيا من اللفظين (رقم : ٦) •

ـ كذلك ، استخدم بعضها لفظ : شفاعتهن (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) •

ـ والبعض استخدم لفظ : الشفاعة (رقم : ٦) •

ـ وأيضا ، استخدم بعضها لفظ : ترتجى أو لترتجى (أرقام : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) •

ـ والبعض استخدم لفظ : ترتضى (رقم : ٢) •

ـ كذلك انتهى النصان : الأول والثانى ، الى شخص واحد هو : **محمد بن كعب القرظى** ، مع خلاف بينهما ، لترتجى ، ترتضى •

ـ وانتهى النصان : الثالث والرابع ، الى شخص واحـد هو : أبى **العالية** ، مع خلاف بينهما : الغرانيق • مثلهن لا ينسى ، الغرانقة •

فمما سبق يتبين أن هذه النصوص تختلف كثيرا فيما بينها ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص ولحد ، فى ساعة من نهار فى مجلس واحد ، أمام جمهور كبير من الشـهود ، على طرفى نقيض فى العقيدة : فبعضهم مسلم يوحـد الله ، والبعض الآخـر مشرك يعبـد الأصنام وسيطا بينهم وبين الله •

ومن ثم ، فان ايا من هذه النصوص المختلفة لا يرقى الى مرتبة الاحتمال ، فمن باب اولى ان يسقط به الاستدلال .

*

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره رواية أخرى عن قتادة قال : « كان النبى ﷺ يصلى عند المقام . اذ نعس ، فألقى الشيطان على لسانه : وان شفاعتهن لترتجى ، وانها لمع الغرانيق العلى ، فحفظها المشركون . وأجرى الشيطان ان النبى ﷺ قد قراها ، فزلت بها السنتهم » .

ان الخلاف الرئيسى بين هذه الرواية وغيرها من الروايات السابقة يتركز فى خلوها مما قيل من أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم على المسلمين والمشركين معا ، وأنهم سجدوا جميعا معه فى موضع السجود فى نهاية السورة . فهذه الرواية تجرد الروايات الأخرى من جزء أساسى فيها .

ناهيك بانقلاب شطرى كلمات الكفر ، والاختلاف نصها مع كل من النصوص الأخرى ، والادعاء بأن خطأ القراءة كان فى حال نعاس رسول الله ، وليس فى حال يقظته !

*

(٣) كذلك ، ذكر ابن كثير فى رواية تبدأ بابن أبى حاتم وتنتهى بسعيد بن جبير الذى قال : « قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم ، فلما بلغ هذا الموضع : « أفرأيتم اللات والعزى ... » .

وفى رواية أخرى لابن كثير : عن « البزار ... ... عن ابن عباس فيما أحسب الشك فى الحديث أن النبى ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى الى : « افرايتم اللات والعزى ... » .

ان ما يلفت النظر فى هاتين الروايتين المشكوك فى حديثهما أنهما تتحدثان عن قراءة النبى لسورة النجم فى مكة . وهذا يعنى بداهة أن المتحدثين لم يكونوا فى مكة وانما كانوا فى المدينة . وكأن الأمور هناك كانت هادئة مستقرة ، فلا حروب ولا مخاطر متوقعة فى كل وقت

وحين ، حتى ان الواحد منهم استلقى على ظهره وأخذ راحته فى استرجاع ما كان من أمر الدعوة فى مكة ، ثم تذكر قراءة النبى لسورة النجم هناك ، وهى سورة نزلت قبل الهجرة الى المدينة بأكثر من ٨ سنوات ، وأن هذا التذكر لن يحدث قبل ١٨ عاما ، أى بعد وفاة الرسول .

عجبا حقا لهذا الهرج الذى لا يستحق مجرد القراءة ...!

لكننا آثرنا أن نعالج هذا الموضوع من شتى أوجهه ، ومن هنا كان صبرنا على استعراض هذه الخرافات .

*

(٤) تقول قواعد المنطق : ان صحة مقولة ما تتحقق ، **على الأقل** ، بتحقيق شرطين متلازمين متعاقبين :

الشرط الأول : ألا تتناقض المقولة مع نفسها (فيحدث توافق داخلى) .

الشرط الثانى : ألا تتناقض المقولة مع حقائق المقولات الأخرى (فيحدث توافق خارجى) .

ومن الواضح أن عدم تحقق الشرط الأول يعتبر كافيا للطعن فى صحة تلك المقولة ، ويجردها من كل مصداقية .

وبتطبيق هذه القاعدة المنطقية البسيطة على قضيتنا هذه ، نجد أن مجموعة الآيات التى تكلمت عن آلهة المشركين ، ثم تخللتها كلمات الكفر المزعومة ــ ولتكن وفق النص الأكبر ــ تقرأ معا كالآتى :

﴿ **أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ .

تلك الغرانيق العلى . وشفاعتهن ترتجى . مثلهن لا ينسى .

﴿**ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذن قسمة ضيزى . ان هى**

الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى . ام للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى . وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ... »

من الواضح أن الشرط الأول لم يتحقق فى هذه المقولة ، فهى بهذه الصورة تتناقض مع نفسها ، اذ لم يحدث فيها توافق داخلى ألبتة . ذلك أنها بعد أن ذكرت أسماء تلك الأصنام المعبودة فى الآيتين الأوليين ، ثم مدحتهن فى ثلاث مقاطع تالية ، اذا ببقية الآيات تحمل عليها حملة شعواء ، تبدأ بانكار وجودها فتعتبرها مجرد أسماء اختلقها الخيال ، والعقيدة فيها ليس لها من برهان سوى الظن والهوى . ثم بينت الآيات أن الملائكة لا يملكون من أمر الشفاعة شيئا ، « **فلله الآخرة الأولى** » ، (وله كل شىء) ، وحده لا شريك له .

ان هذه المقولة ، بما دس فيها من حديث الغرانيق ، لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، فى مجلس واحد ، شهده جمع من المسلمين والمشركين . فلا بد ، اذن ، من نبذ حديث الغرانيق حتى يتوافق هذا القول مع نفسه ، قبل البحث ــ من وجهة نظر المنطق البحت ــ فى البحث فى تحقيق الشرط الثانى وهو توافقه مع الحقائق القرآنية الأخرى .

ان القاعدة المنطقية التى استخدمناها فى بحث حديث الغرانيق تعتبر وسيلة مضمونة وميسرة لبحث مختلف القضايا المماثلة . ونستطيع تطبيقها ، فى سهولة ويسر ، على مقولات أخرى ، ولتكن تلك التى تتعلق بيوسف الصديق ، وامرأة العزيز فى مصر ، حسبما جاءت فى **الكتاب المقدس** .

فبعد أن تآمر اخوة يوسف عليه وألقوه فى البئر ، « اجتاز

رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر .. فأتوا بيوسف الى مصر .. وأما المديانيون فباعوه فى مصر **لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط** ..

وأما يوسف فأنزل الى مصر واشتراه فوطيفار **خصى فرعون** رئيس الشرط رجل مصرى .. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا، **وكان فى بيت سيده المصرى** ..

وحدث بعد هذه الأمور أن **امرأة سيده** رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معى ... فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن ..

وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر والخباز أذنبا الى سيدهما ملك مصر .. فوضعهما فى **حبس بيت رئيس الشرط** فى بيت السجن المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه ..

فحدث فى يوم عيد ميلاد فرعون أنه ... رد رئيس السقاة الى سقيه .. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا ... فى **حبس بيت رئيس الشرط** .. كانهناك معنا غلامعبرانى عبد لرئيس الشرط ... ـ تكوين ٣٧ : ٢٨ ـ ٣٦ ، ٣٩ : ١ ـ ٧ ، ٤٠ : ١ ـ ٣ ، ٢٠ ـ ٢١ ، ٤١ : ٩ ـ ١٢ » .

هذه هى الخطوط العامة للجزء الأول من قصة يوسف . ويستطيع القارىء العادى ، الذى لا يعرف شيئا عن يوسف وما قيل عنه فى الكتاب المقدس أو فى القرآن العظيم ، أن يلمح شيئا يمنع توافق هذا الجزء من القصة مع نفسه . فيوسف عبد لرئيس الشرط ، فوطيفار ، خصى فرعون ، وأن هذا الخصى له زوجة تحاول اغواء يوسف ... ! كيف هذا : **خصى يتزوج ؟!**

ان هنا خللا واضحا يتمثل فى وصف رئيس الشرط أو الموظف السامى لدى فرعون بأنه خصى ...!

ولقد أوقع هذا الخطأ مترجمى سفر التكوين من العبرية الى اللغات الأخرى فى حرج شديد ، فاضطر بعضهم الى الالتزام بالنص العبرى الخطأ ، ووصف رئيس الشرط بأنه خصى فرعون • وهذا ما نقرأه فى التراجم العربية الشائعة ، وفى **الترجمة الفرنسية المسكونية** ، وفى **ترجمة أورشليم الفرنسية** . أما تراجم البروتستانت ، عموما ، فقد أسقطت كلمة « **خصى** » من القصة لتتخلص من هذا المأزق •

وجدير بالذكر أن مجىء يوسف الى مصر ، ثم مجىء أبيه وقبيلته فى عقبه ، كان خلال حكم أجنبى غريب ، غير فرعونى ، تشير المقارنات التاريخية الى أنه حدث أيام الهكسوس •

*

(٥) من المعلوم أن حادث الاسراء كان فى العام الأخير قبل الهجرة الى المدينة ، وأن حديث الاسراء كان سببا فى ارتداد بعض المسلمين على دينهم ، اذ لم تستطع عقولهم تصديقه • ويروى ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس قال : « أسرى برسول الله ﷺ الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم (التى كانت فى الطريق) •

فقال ناس : نحن لا نصدق محمدا بما يقول . فارتدوا كفارا ••

(فقد حدث فى صباح ليلة الاسراء أن) مر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس اليه ، فقال له كالمستهزىء : **هل كان من شىء ؟!**

فقال له رسول الله ﷺ : نعم • قال : ما هو ؟ • قال : انى أسرى بى الليلة • قال : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس • قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟! قال : نعم ••

قال : أرأيت ان دعوت قومك ، أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم •

فقال : يا معشر بنى كعب بن لؤى ! قال : فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما • قال : حدث قومك بما حدثتنى •

فقال رسـول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة • فقالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقـدس • قالـوا : ثم أصـبحت بين ظهرانينـا ؟! قال : نعم • قال : **فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا** » ...

لقد ارتد قوم عن الاسلام بعد سماعهم قصة الأسراء من الرسول ، وكان ذلك قرب نهاية فترة الدعوة فى مكة ، وقد ازداد المسلمون آنذاك عددا وقوة ، وفشل الحصـار الاقتصادى والاجتماعى والفكرى الذى فرضـه القرشيون على المسلمين •

فمن باب أولى أن يحدث ارتداد لبعض المسلمين ـ على الأقل ـ قبل ذلك بما لا يقل عن سبع سنين ، حين نزلت سورة النجم ، لو كان فيها حقا حديث الغرانيق ، والمسلمون يومئذ قليـل ، والقرآن الذى يأتيهم به الرسـول فى متناول أيديهم ، وحجة لهم أو عليهم وذلك كله قبل مولد ابن عباس ، الذى تنسب اليه زورا بعض روايات الغرانيق ، بمدة لا تقل عن خمس سنين ، اذ المعروف أنه كان قد بلغ الثالثة عشر عند موت الرسـول •

لم يحدث ارتداد عن الاسلام ، اذن ، عقب نزول سـورة النجم وتلاوة الرسول اياها جهارا نهارا أمام حشد كبير من الشهود : مسلمين ومشركين ، وذلك لسبب وحيد وجوهرى وهو أنها كانت نقية كمـا أنزلها الله ، وكما يتلوها كل مسلم اليوم •

فلا يعقل أن يرتد مسلمون لمجرد الحديث عما اراه الله لنبيه من عالم الغيب ـ الذى يشكل جزءا اساسيا من عقيدة كل مؤمن ـ بينما لا يرتد أحد لسماع قرآن اختلط به حديث الغرانيق ... ! ان هـذا مسـتحيل ...

*

هذا ـ ولقد عالج شيخ كبير من شيوخ المفسرين ، هو **الفخر الرازى** المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ، حديث الغرانيق ، بعد أن ذكر رواية تتشابه مع رواية الطبرى وان اختلفت معها فى نقاط هامة منها : اختلاف نص كلمات الكفر ؛ فانه قال : « **أما اهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة** . واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول» . ثم ذكر الفخر الرازى براهين على بطلان هذه الرواية ، نقتبس بعض ما استند اليه من (السنة والمعقول) ، ونضعه ضمن مسلسل معالجتنا لهذا الموضوع . أما الاحتجاج بالقرآن ، فسنعرض له فيما بعد .

(٦) قال الفخر الرازى : « روى عن محمد بن اسحق بن خزيمة (الذى كان معاصرا للطبرى ، ولقب بامام الأئمة ، وله كتاب : الصحيح فى الحديث) أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : **(هذا وضع من الزنادقة)** وصنف فيه كتابا .

وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى : **(هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل)** . **ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم** » .

(٧) « وأيضا ، فقد روى **البخارى فى صحيحه** أن النبى عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون .. **وليس فيه حديث الغرانيق** . وروى هذا الحديث من طرق كثيرة **وليس فيها البتة حديث الغرانيق** » .

*

(٨) « وأما المعقول ، فمن وجوه :

أنه عليه السلام ، ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له ، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم اليه ، وانما كان يصلى اذا لم يحضروها ليلا ، أو فى أوقات خلوه . وذلك يبطل قولهم .

وأن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر . فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا (فى نهاية السورة) مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم (حسب بقية السورة) » .

*

(٩) أجمعت الروايات المختلفة كلها على شيء واحد ، وهو انه فى نهاية نفس اليوم كانت سورة النجم عند الرسول نقية كما نقرؤها اليوم . لكن الوضاعين أرجعوا ذلك الى تصحيح سريع قام به الأمين جبريل ، وان اختلفوا ، كالعادة ، فى كيفية تدخل أمين الوحى . فاحدى روايات الطبرى ، كتلك التى نقلناها سلفا ، تقول :

(فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين) ..

أما الرواية التى تقلها الفخر الرازى ، فتقول :

(فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال : ماذا صنعت ؟! تلوت على الناس ما لم آتك به ، وقلت ما لم أقل لك) ؟!

ان نظرة واحدة فى أى من هاتين الروايتين لتقطع بكذبها .

فمثل هذا الحديث الذى يزعمون أنه جرى بين أمين الوحى والنبى ، ما كان ليشر أن يعلمه الا عن طريق النبى نفسه . ولما كان النبى لم يحدث بشيء من ذلك على الاطلاق ، كان ذلك الحديث المزعوم بين امين الوحى والنبى مختلقا ولا صحة له ، ويترتب على ذلك الاقرار باختلاق حديث الغرانيق برمته ، جملة وتفصيلا .

على أن الذين اختلقوا روايات الغرانيق ليثيروا شبهات حول القرآن ، وأولئكم الذين ظاهروهم عبر الزمان ــ ولا يزال بعضهم الى الآن ــ من غير المسلمين ، انما استدرجوا ــ نتيجة لسوء مكرهم ــ

الى التسليم بنتيجة منطقية ــ ترتبت على قولهم بتدخل الأمين جبريل لبيان الحق فى نفس اليوم ــ وهى : أن القرآن الذى يتلوه الرسول على الناس فى الأرض ، انما هو مرصود من السماء ، تحت المراقبة التامة ، ومحفوظ من التدخل فيه على أى صورة من الصور •

ان هذا يعنى أنهم يسلمون ــ دون أن يدروا ــ **بقول الحق : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾** (الحجر : ٩) •

*

(١٠) ثم نختم استعراضنا للروايات المختلفة بذكر واحدة ، تختلف عن سابقاتها فى شىء هام يسترعى الانتباه ، فقد ذكرها ابن كثير بدءا بابن أبى حاتم ، وانتهاء بابن شهاب الذى قال : « أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ، أقررناه وأصحابه • وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنه ضلالهم ، **فكان يتمنى هداهم** • فلما أنزل الله سورة النجم قال : **﴿ أفرايتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى • ألكم الذكر وله الأنثى ﴾** ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال : (وانهن لهن الغرانيق العلا • وان شفاعتهن لهى التى ترتجى) • وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته • **فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة ، وذلت بها السنتهم ..** فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك .. فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله ﷺ •

فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير ايمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى القى الشيطان فى مسامع المشركين •

(وأما المشركون) فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان فى أمنية

رســـول الله ﷺ ، **وحدثهم به الشيطان ان رســول الله ﷺ قـد قراها فى السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة فى الناس** » .

من هذه الرواية تتبين عدة أمور هامة :

ـ أن ما كان يتمناه النبى هــو هداية قومه . وهــذا حــق له وواجب عليه ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى زعمت أنه كان يتمنى ألا يأتيه من الله شىء فينفروا منه . فشتان بين هذا وذاك .

ـ وأن النبى لم يقرأ كلمات الكفر على الاطلاق ، وانما قرأ ثلاث آيات متواليات دون تدخل خارجى ، فقال : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . الكم الذكر وله الأنثى** ﴾ ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى تحقن كلمات الكفر بين الآيتين الثانية والثالثة . ولهــذا السبب لم يسمع المسلمون تلك الكلمات الشيطانية على الاطلاق ، ومن ثم تعجبوا لسجود المشركين معهم فى نهاية السورة .

ـ وأن كلمات الكفر كانت وقفا على المشركين دون غيرهم .

ـ وأن نصها هنا يعتبر أطول النصوص ، ويختلف معها جميعا .

ويمكن تقدير ما حدث اعتمادا على أن ســورة النجم التى قرأها الرسول على المشركين والمسلمين ، سفهت آلهة قريش واعتبرتها مجــرد أســماء ســموها (**ما انزل الله بها من سلطان**) واعتمادا على ما بينتــه الرواية الأخيرة ، ثم بالقياس لمــا يحدث فى حياتنا اليومية . فمن المعلوم أن النيابة العامة عندما تباشر التحقيق فى جريمة وقعت ، فانها تستطيع فى النهاية أن ترسم صورة تقــديرية لحقيقــة ما حــدث اعتمــادا على ما تجمع لديها من قرائن وأدلة وعوامل أخرى مؤثرة .

وبالمثل ، فاننا نستطيع أن نقول :

يحدث فى حياتنا اليومية أن يقرأ قارىء القرآن مجودا على جماعة

من المسلمين فيطربون له ويهتزون لتجويده . ويبلغ بأحدهم الطرب أن يتدخل بكلمات من عنده ، عقب بعض الآيات . فاذا تلى القارىء قوله تعالى : ﴿ **واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان** ﴾ (البقرة : ١٨٦) ، عقب ذلك المأخوذ الطرب بصيحة اعجاب ، عالية الصوت ، تقول ، مثلا : ارحمنا يا رحمان ! فاذا استمع جاهل بالقرآن ، يجلس بعيدا عن القارىء ، كانت حصيلة سمعه : (... أجيب دعوة الداع اذا دعان : ارحمنا يا رحمان) ! فيعتقد هذا الجاهل ـ خطأ ـ أن ذلك كله قرآن ، وما هو كذلك . انه قرآن ألحق به قول بشر ... وما حدث هذا الا لأن المسلمين لا يلتزمون بما يأمرهم به الله فى تعليم قرآنى واضح يقول : ﴿ **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ (الأعراف : ٢٠٤)

ولقد حدث فى حياتنا اليومية أن كتب عالم فاضل شغل نفسه بالتفسير الموضوعى للقرآن ، تفسيرا لبعض السور ، فاذا به يكتب الآيات ويدس بينها مفردات وشروحا يضعها بين أقواس . فما هو الحال ، اذا حدث خطأ مطبعى ، وفقد أحد الأقواس ، وهو احتمال كثير الوقوع ؟! لا شك أن القارىء البسيط سيقرأ القرآن وما ألحق به باعتباره كله قرآنا ، وما هو كذلك .

وبناء على ما سبق تكون الصورة الاحتمالية هى أن الرسول ﷺ بدأ يقرأ سورة النجم على المشركين والمسلمين ، وبمجرد أن جاء ذكر آلهتهم فى قول الله تعالى : ﴿ **افرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ **استمر الرسول يقرأ ما بعدها صحيحا نقيا** ـ وهذا ما تقوله الرواية التى نحن بصددها ـ **فقال** : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى** ﴾ بينما هتف أحد المشركين بقوله : تلك الغرانيق العلا . منها الشفاعة ترتجى ، فاستجابت لها أفئدة المشركين ، لأنها تتفق وعقائدهم فيها ، وكانت بمثابة اسقاط نفسى لشىء كانوا يتمنوه ـ اذ تقول نفس هذه الرواية : كان المشركون يقولون : لو أن هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ،

أقررناه وأصحابه ـ ومن ثم كان سجودهم فى ختام السورة • هذا ، بينما كان المسلمون يركزون سمعهم على ما يقوله الرسول ، كعادتهم فى كل مجلس له ، ولهذا قالت الرواية ان المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذى ألقى الشيطان فى مسامع المشركين ، ومن ثم كان تعجبهم لسجود المشركين معهم •

واما أن تنسب كلمات الكفر للشيطان ، رغم أنها صدرت على لسان انسان مشرك ، فذلك شىء تتفق عليه الكتب المقدسة ، حيث ينسب الشر أصلا الى الشيطان الذى يغرى الانسان بفعله ، فيستجيب له ويفعله • **ويوم الحساب** ، يتبرأ كل من خليله :

﴿ **وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾
(ابراهيم : ٢٢)

اننا لسنا فى حاجة الى التذكرة بأن القريحة العربية لأى من المشركين الذين استمعوا الى رسول الله وهو يتلو عليهم سورة النجم ، لكفيلة بأن تسعفه بكلمة تعظيم لآلهته بمجرد سماع أسمائها • فها هو خالد بن الوليد ، الذى عاش على الشرك زمنا طويلا ثم هداه الله الى الاسلام أخيرا قبل وفاة الرسول ، يمر يوما على صنمى اللات والعزى بعد اسلامه ، فينظر الى الواحد منهما ويقول :

كفرانك ، لا سبحانك ! انى رأيت الله قد اهانك . لقد كان هذا سجعا لا تكلف فيه ، جادت به قريحة خالد لساعتها •

ولسنا فى حاجة أيضا ، الى التذكرة بأن العرب كانوا أساتذة فى الحرب الكلامية ، فأنشأوا لها مواسم وأسواقا يعرضون فيها دعاياتهم

ما بين فخر وهجاء . لقد كانوا يدركون تماما قوة الكلمة وأثرها الفعال الذى يتعاظم بكثرة الترديد .

فلقد حدث فى غزوة أحـد ، بعد أن رجحت كفة المشركين آخر الأمر ، أن أذاعت قريش أن محمدا قتل ... وكان لهذه الكلمة الكاذبة الخبيثة فعلها الرهيب فى كلا الجانبين ... فلا عجب ، اذن ، أن يلغوا فى القرآن ، وينسبوا له ، كذبا ، حديثا كحديث الغرانيق .

ومهما يكن من أمر ، فان كلمات الكفر لم تكن لتصدر الا من جانب المشركين .

ومن الجدير بالذكر أن **ابن كثير** قد ضعف روايات الغرانيق جميعا فقال : **(انها من طرق كلها مرسلة ولم ارها مسندة من وجه صحيح) .**

والمرسل هو ما سقط منه الصحابى الذى استمع الى النبى ﷺ واخذ عنه . ويرى جمهور العلماء من أهـل الحديث ـ ومعهم الأصوليون ـ **ان الحديث المرسل لا يؤخذ به . وقد قال الامام مسلم فى مقدمة كتـابه « الجامع الصحيح » : أن المرسل من الروايات ـ فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ـ ليس حجة .**

*

(١١) ليس جديدا أن يتهم رسول من رسل الله بتدخـل الشيطان فى شىء يتعلق برسـالته ، فما زعمه الكافرون فى شـأن محمد رسول الله ، قال بمثله ، من قبل ، الكافرون برسالة المسيح عيسى ابن مريم . فلقد حدث أن شـفى المسـيح مجنـونا أعمى وأخرس . « فبهت كل الجمـوع وقالوا : **ألعل هذا هو ابن داود ؟**

اما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يخرج الشـياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين .

فعلم يسوع افكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . **فان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على ذاته .** فكيف تثبت مملكته ؟!

وان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ؟! لذلك هم يكونون قضاتكم •

ولكن ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين ، فقد اقبل عليكم ملكوت الله ـ متى ١٢ : ٢٣ ـ ٢٨ » •

« فأجاب اليهود وقالوا : ألسنا نقول حسنا انك سامرى **وبك شيطان** ـ يوحنا ٨ : ٤٨ » •

« فقال كثيرون منهم : **به شيطان وهو يهذى** لماذا تستمعون له ـ يوحنا ١٠ : ٢٠ » •

ان المتتبع لحديث الانجيل ـ وليكن انجيل مرقس أقدم الأناجيل ، والذى أخذ عنه كل من متى ولوقا ـ نجد أنه ذكر أفعال الشيطان فى مجالين اثنين :

ـ اغواء الناس وتجربتهم بقصد اضلالهم ، ولقد تعرض المسيح لهذا قبل أن يبدأ دعوته (١ : ١٣) ، كما حذر المسيح من اضلاله الناس (٤ : ١٥) •

ـ احتلاله جسم الانسان واصابته بالأمراض والجنون (٣ : ١٥ ، ٥ : ٢ ، ٧ : ٢٥) •

أما فى القرآن فان الحملة على الشيطان وقبيله عنيفة ومتواصلة ، بدأت منذ أول الخليقة واستمرت تلعنه الى يوم القيامة وتحذر الانسان من شروره •

﴿ **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ (الأعراف : ٢٧) •

﴿ **ان الشيطان للانسان عدو مبين** ﴾ (يوسف : ٥) •

﴿ **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ (فاطر : ٦) •

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ﴾ (المائدة : ٩٠ ــ ٩١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

﴿ لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولبا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ (النساء : ١١٨ ــ ١١٩)

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ (الشعراء : ٢٢١ ــ ٢٢٢)

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ (مريم : ٦٨)

... وهكذا ، جاءت حمة القرآن على الشيطان أكثر من أى كتاب سماوى آخر . ففى أكثر من ثمانين آية ، تجد تحذيرا تلو تحذير من ضلالات الشيطان وتلابيسه بهدف رئيسى يقصده وهو تحقيق الضياع الأبدى للانسان .

بعد هذا العرض المركز لموقف القرآن من الشيطان ، نستطيع أن نستخدم منطق المسيح فى محاجته لليهود الذين اتهموه بتدخل الشيطان فى أعماله .

لقد قال لهم المسيح : (إن كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

وعلى خطى المسيح نقول للذين زعموا تدخل الشيطان فى القرآن الذى نزل على محمد رسول الله ، بأى صورة من الصور :

(ان كان الشيطان يلعن الشيطان ويحذر الناس من شروره بعد أن يكشف لهم وسائله والاعيبه ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

ولقد قال المسيح ، لمن يريدون دخول ملكوت الله :

(ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله) .

وبنفس المنطق نقول لمن يريدون الايمان الحق والحياة الأبدية الآمنة : **(ان كان ايمانكم ان القرآن نزل به الروح القدس ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله) .** وأن هذا يعنى بداهة التسليم الكامل بقول الحق :

﴿ وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون ﴾ (الشعراء : ٢١٠ ــ ٢١٢)

(١٢) ان واقع الحياة ، ماضيها وحاضرها ، يؤكد الصاق تهم كثيرة وخطيرة بمن هم منها براء . وتلك واحدة من شرور أكثر الناس ، وهى فى نفس الوقت من أكثر شرورهم التى استحال التخلص منها . وما باليد من حيلة سوى تفنيد تلك الاتهامات وابطالها ، فمن شاء أصر على موقفه منها ، ومن شاء خجل من نفسه وطلب الغفران .

لقد كان المسيح ومن بعده محمد من أكثر من وجهت اليهم ثلاث اتهامات خطيرة هى : **الكذب ، والجنون ، والسحر أو استخدام الشياطين .**

بل ان الكفرة ألحقوا بالمسيح تهمة أفظع وأوجع ، اذ طعنوا فى شرف أمه **فجعلوه : ابن زنا !**

ففى محاورة بينه وبين اليهود **« قالوا له : اننا لم نولد من زنا ــ** يوحنا ٨ : ٤٨ **»** .

ولقد لاحظنا ، سلفا ، أن الدجال الهندى سلمان رشدى ملأ بتلك

الشتيمة الفاحشة صفحات رو يته الشيطانية • (فمن ثمارهم تعرفونهم) حقا ، كما قال المسيح ، أو : كل اناء بما فيه ينضح ، والطيور على أشكالها تقع ، كما يقول الناس فى أمثالهم •

هذا ، ولقد برأ القرآن العظيم مريم الطاهرة ــ كما برأ أنبياء بنى اسرائيل ــ من كل المثالب وأحاديث الافك التى سطرها كتبه أسفار الكتاب المقدس ، فقال فى حقها أفضل ما يقال :

﴿ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٢) •

ذلك بعض ما كان من تعظيم القرآن لمريم أم المسيح • فبينما يفرد لها سورة مستقلة باسمها تسمى سورة مريم ، ثم يذكرها مرات ومرات بكل اجلال واحترام فى غيرها من السور والآيات ، نجدها لم تذكر خارج الأناجيل الا مرة واحدة فى سفر أعمال الرسل ، فى حديثه عن التلاميذ بعد رفع المسيح ، اذ قال : « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ، **ومريم أم يسوع ومع اخوته** ــ ١ : ١٤ » •

ولقد أغفلتها بقية أسفار لعهد الجديد البالغ عددها ٢٢ سفرا ، فلم يذكرها بولس فى رسائله الكثيرة الا غفلا من الاسم ، وذلك فى قوله عن المسيح أنه : (مولود من امرأة) ، كما أغفلها التلاميذ الذين تنسب اليهم بقية الأسفار وهم : بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا ••• !

أليست هذه ظاهرة تستحق التأمل ؟

لا عجب ، اذن ، أن يقول المسلمون صادقين : نحن أولى الناس بالمسيح وأمه •

*

(١٣) وأخيرا ، نذكر بأمر عجيب حقا ، لكنه فى الحقيقة واقع ملموس لقول **الحق** فى القرآن العظيم : **﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾** (الحج : ٤٦) •

ذلك أن سورة النجم ، التى حاولوا اللغو فيها ، هى السورة الوحيدة بين سور القرآن البالغ عددها ١١٤ سورة ، التى تستفتح بعد القسم : ﴿ **والنجم اذا هوى** ﴾ ، بالتأكيد على تجرد الرسول من كل ضلال وغواية وهوى فى كل ما يتعلق بالمنطوق القرآنى • فهى تقول : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى** ﴾

ان سورا كثيرة أخرى من القرآن تستفتح بالتأكيد على أنه كتاب ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ (سورة البقرة) ، وأن الله نزله على رسول بالحق (سورة آل عمران) ، وأنه وحى من الله الى رجل من الناس (سورة يونس) ، وأنه ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (سورة هود) ، وأنه ﴿ **تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ (سورة فصلت) ، وهو ﴿ **الكتاب المبين** ﴾ (سورة الدخان) ، وهو ﴿ **القرآن المجيد** ﴾ (سورة ق) •••

أما استفتاح سورة النجم فانه متفرد فى حديثه عن العلاقة بين **الوحى ، والرسول ، والقرآن** ، وتأكيده على أنها بدأت بالحق ، وبالحق انتهت ، حق ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (فصلت : ٤٢) •

ومنذ نزلت سورة النجم ، وآيتان من صدرها ، يرددهما المسلمون بكثرة فى أحاديثهم عن النبى والقرآن ، فى شتى المناسبات وعبر العصور والأزمان ، وهما : ﴿ **وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى** ﴾ • وكأن صدر سورة النجم ينطوى على نبوءة تشير الى أن المبطلين سيلغون فى هذه السورة بالذات ، ومن ثم كان الرد الالهى حاضرا فى فاتحتها • فما على مبصر القلب **الا أن** يراه ، أما أعمى القلب فلن يراه ، وان قرأه مرات ومرات •

* *

أما الآن ، فلنتوقف قليلا لنجرى مراجعة سريعة لدراستنا •

لقد بدأنا هذا الجزء بالحديث عن حقائق الاسلام والتاريخ ، فذكرنا منها ١٣ عنصرا متسلسلا • وكان عنصرها الثالث عشر والأخير متعلقا بما ابتلى به محمد رسول الله من الرواة ووضاع الحديث وغير قليل من كتاب السيرة • واستشهدنا بما قيل عن الذبيح ابن ابراهيم ، وما روى كذبا من حديث الغرانيق الذى أجرينا له مراجعة شاملة من مختلف الوجوه ، جاءت فى ١٣ عنصرا فرعيا متسلسلا ، كل رقم بين قوسين •

والآن ، نعود لنذكر العنصر الرابع عشر والأخير فى سلسلة عناصر الاسلام والتاريخ ، لننتقل بعد ذلك للحديث عن افتراءات الدجال الهندى على الاسلام ونبيه وكتبه وتاريخه •

* *

١٤ ــ فى مرات عديدة ، نزل الوحى على رسول الله بما يخالف موقفه من قضايا مختلفة •

(١) فلقد كان رسول الله يخاطب يوما بعض كبراء قريش ممن طمع فى اسلامه ، اذ أقبل عليه ابن أم مكتوم ، رجل أعمى كان قد أسلم قديما ، جاء يسأل النبى شيئا فى الدين ويلح عليه فى السؤال • فعبس النبى فى وجهه وأعرض عنه ، التفاتا الى الشريف القرشى وطمعا فى اسلامه • فأنزل الله عليه سورة عبس ، تستفتح باستنكار هذا الموقف ، وتعاتب الرسول عتابا شديدا ، فتقول :

﴿ عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • اما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك الا يزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى •

كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بايدى سفرة . كرام بررة ﴾ (عبس : ١ ــ ١٦)

لقد طلب الله الى رسوله ، بشكل قاطع ، أن يساوى فى تبليغ رسالته الى الناس (بين الشريف والضعيف ، والغنى والفقير ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار) .

وكان الرسول ، بعد ذلك ، اذ جاءه ابن أم مكتوم ، يبالغ فى اكرامه ويبادره بقوله : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .

*

(٢) وفى فجر الدعوة ، والرسول حديث عهد بالوحى ، كان اذا أنزل عليه ، (يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره) . فأنزل الله تعالى **﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قراناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه ﴾** (القيامة ١٦ ــ ١٩)

*

(٣) وفى خضم الاضطهاد والتعذيب والحرب النفسية التى مارسها المشركون ضد المسلمين ، بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة ، يستفتونهما فى أمر محمد ، باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم الأنبياء .

فقال أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، والا فهو رجل متقول ، فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح .

(فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش . فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . فقد أمرنا أحبار

يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد . أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به .

فقال لهم رسول الله ﷺ : **اخبركم غدا عما سالتم عنه .** فانصرفوا .

ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له فى ذلك وحيا ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألنا عنه !

وقد أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ، من الله عز وجل ، بسورة الكهف (وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه) . ثم تعليم الهى يقول له : ﴿ **ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله** ﴾ (الكهف : ٢٣ ــ ٢٤) .

لم يقل الرسول لمن سألوه : أخبركم غدا عما سألتم عنه ، **ان شاء الله** . ومن ثم كان ذلك الحرج الشديد والأذى والمعاناة .

انه نبى ورسول من عند الله ، فكل كلمة وتصرف بحساب يتناسب وأقدار الرجال .

وما أمر محمد رسول الله فى ابطاء الوحى عليه بالشيء العجيب ، فلقد رأينا سلفا ، كيف أبطأ الوحى على النبى ارميا الذ لم تأته كلمة الله الا بعد عشرة أيام من سؤال الاسرائيليين له ، مع فارق جوهرى وهو أن الذين سألوا ارميا كانوا مؤمنين به وبنبوته ، أما الذين سألوا محمدا رسول الله فقد كانوا كافرين به وبرسالته . ومن هنا كانت معاناته شديدة وموقفه فى غاية الحرج .

(٤) تبنى محمد بن عبد الله ، قبل الرسالة ، زيدا بن حارثة . فكان يقال له زيد بن محمد . واستمر ذلك فى صدر الاسلام ، حيث عامله الرسول كابن له ، كل يرث الآخر ، جريا على عادة العرب فى نظام التبنى ، الذى هو فى الحقيقة ادعاء على غير أساس . ﴿ **ويريد الله ان يحق الحق بكلماته** ﴾ (الأنفال : ٧) ، ولهذا جاءت سورة الأحزاب تبطل دعوى التبنى ، وتستفتح بالقاء قول ثقيل على الرسول ، لم تستفتح به غيرها من سور القرآن : ﴿ **يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا . ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما** ﴾ (الأحزاب : ١ ــ ٥)

وبجانب هذا التشريع العام ، الذى أبطل التبنى ، فقد جاءت آية واحدة فى نفس السورة تنفى أبوة محمد لزيد أو غيره . وكأنها ، فى هذا ، تتنبأ بأن رسول الله لن يكون له ، على الاطلاق ، أبناء ذكور يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال :

﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما** ﴾ (الأحزاب : ٤٠)

هذا قول الله ، ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ (النساء : ٨٧) .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ، فقد توفى ولداه من خديجة : القاسم وعبد الله ، كما توفى ولده الأخير ابراهيم ، الذى ولدته مارية القبطية ، توفوا جميعا أطفالا ، لم يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال . ويلاحظ أن

آية ختم النبوة (رقم ٤٠) قد اختتمت بقول الحق : ﴿ **وكان الله بكل شيء عليما** ﴾ (الأحزاب : ٤٠) لأنه سبحانه : ﴿ **عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾ (التغابن : ١٨) . وهكذا وضعت خواتم آيات القرآن بحكمة وقدر ، ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ (الرعد : ٨) .

*

(٥) لم يكن من مشركى مكة ، بعد أن يئسوا من القضاء التام على الأسلام وسحقه ، الا أن يلجئوا ، بفطرتهم ، الى المرحلة التالية من مرحل ادارة الصراع بين القوى لعنيدة ، وهى الاحتواء والتطويع . لذلك طلبوا من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير هذا الذى يتلوه عليهم ، لعل ضغوطه ومطالبه ، وخاصة فى مجالات العقيدة والسلوك ، تكون أخف وأهون .

﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون . فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون** ﴾ (يونس : ١٥ ــ ١٧) .

انه قرآن ، ما الرسول فيه الا مستقبل أمين حفظه الله من كل تدخل أو تشويش . وما هو ، بعد قضاء وحيه اليه ، الا مرسل أمين تكفل الله بسلامة تلاوته على الناس :

﴿ **ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قراناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه**) . (القيامة : ١٧ ــ ١٩) .

انه قرآن لا علاقة له بشخص الرسول ، على الاطلاق . ولو

افترضنا العكس ـ جدلا ـ كما نفعل فى مناقشة مختلف القضايا ، أما كان محمد يجعل شخصه محـور الحديث والتعظيم ، ويذكر أسـماء أصحابه الذين قاسوا التعذيب والاضطهاد ، فكان (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) • ان احصاء فى هذا الشأن لجدير بالتدبر • فلقد ذكر القرآن : موسى ١٣٦ مرة ، ومريم ٣٤ مرة ، وعيسى ٢٥ مرة ، وهارون ٢٠ مرة ، واسم المسيح ١١ مرة •

أما اسم محمد ، فلم يذكر الا ٤ مرات فقط •

ولم يذكر القرآن من أتباع محمد الا مولاه زيدا مرة واحدة ، ومن أعدائه عمه أبى لهب مرة واحدة ، قرر أن عاقبته النـار ، وبئس المصير • لم يذكر القرآن : أبا بكر وعمر وعثمان وعلى ، أو حمزة وخالد والعباس ••• بينما جاء فى القرآن : عتاب للرسول ، ولفت نظر ، وتحذيرات شديدة اللهجة ، يكاد بعضها يصل الى حد الانذار •••

ويكفى أن نتذكر هنا قول الحق : ﴿ **والله لا يستحى من الحق** ﴾ (الأحزاب : ٥٣) • فهو سبحانه الكبير المتعال ، والكل بين يديه ـ ورسـله على رأس القـائمة ـ ليسـوا سـوى عبيـد ضـعفاء ، ﴿ **يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عـذاب ربك كان محـذورا** ﴾ (الاسراء : ٥٧)

ومن رحمة الله بخلقه ، أن أشهدهم فى هذه الحياة صورا من ضعف أنبيائه ، وخشية هؤلاء الأنبياء وفزعهم من بعض مخلوقاته وتجلياته ، لتكون حجة على المرسلين ، فلا يدع أحد منهم ـ معاذ الله ! ـ وقد أمده الله بمعجزات وأعاجيب ، أنه صار أكثر من بشر : الها أو ابن اله :

﴿ **ومن يقـل منهم انى الـه من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين** ﴾ (الأنبياء : ٢٩) •

ثم لتكون صور الضعف التي وعاها البشر للأنبياء حجة على الذين أرسلوا اليهم ، فليس لهم أقل القليل من العذر ، أن يسمو بهم فوق طينة البشر • هم بشر أولا وأخيرا ، وان كانوا أفضل البشر • ففى أول وحى تلقاه موسى ، تقول التوراة : « غطى موسى وجهه ، لأنه خاف ـ خروج ٣ : ٦ » •

وفى هذا ، قالت بعض أسفار العهد الجديد : « **كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : انا مرتعب ومرتعد** ـ عبرانيين ١٢ : ٢١ » •

وحين شعر المسيح بالخطر يتهدده ، وأن اعداءه على وشك اصطياده، حلت به حالة من الرعب والفزع ، يعرضها الانجيل فى قوله :

« **ابتدأ يدهش ويكتئب • فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت •• ثم تقدم قليلا وخر على الأرض ، وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن ••**

وظهر له ملاك من السماء يقويه • واذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ـ مرقس ١٤ : ٣٣ ـ ٣٥ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ـ ٤٤ » •

وما أن تلقى محمد أول وحى فى غار حراء ، ثم سرى عنه ، حتى انصرف راجعا الى بيته ، يرجف فؤاده ويضطرب قلبه خوفا وهلعا • فدخل على زوجه خديجة وهو يقول : زملونى ، زملونى • فزملته وهو يرتعد كأن به الحمى • فلما ذهب عنه الروع ، حدثها بالذى رأى وسمع ••• ثم تتابع الوحى • ولقد كان محمد رسول الله يعانى من شدة الوحى ، كما عانى كل أنبياء الله المرسلين • وفى هذا قال عبادة بن الصامت: **(كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه)** •

وقال زيد بن ثابت ، كاتب رسول الله : **(انزل (الوحى) على رسول الله ، وفخذه على فخذى ، فكادت ترض فخذى)** •

هذا ــ وقد قال الله فى قرآنه لرسوله معلما ومحذرا :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ ــ ٧٥) .

انه قرآن الله الذى يقول لرسول الله ما قد يشعره بالحرج، ولا حرج:

﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

لا علاقة ، اذن ، بالوحى وهوى الرسول ، على الاطلاق .

* *

هذا ــ ونستطيع الآن ، على ضوء ما تقدم **من حقائق الاسلام والتاريخ ، أن** نستأنف استعراض مفتريات الدجال الهندى وأكاذيبه الهازلة الماجنة .

*

● **مفتريات على سلمان الفارسى :**

يتخيل الدجال مشهدا حدث فى غرفة بعل ، شاعر الهجاء وتابع أبى سمبل (أبى سفيان) وزوجه هند ، فيقول : (عاد بعل الى غرفته الحقيرة فوجد فيها شخصا مقنعا عاجله بضربة أدمته . ثم بدأ بعدها حوار بينهما كشف أثناءه المقنع وجهه ، فبانت شخصيته : انه سلمان الفارسى !

قال سلمان لبعل : ماهوند قادم . فارتعد بعل وقال له : انك واحد من أقرب صحابته . فرد سلمان : كلما كنت أقرب الى المشعوذ ، كلما سهل عليك كشف ألاعيبه) ! (ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣) .

ثم يقول الدجال : **وحلم جبريل بهذا :**

(ظهر جبريل للنبى وسط أشجار نخيل الواحة (يثرب) ووجد نفسه يتدفق بتشريعات ، تشريعات ...

بدأ سلمان يشكو لبعل ويقول : الوحى ــ القرآن ــ علم المؤمن مقدار ما يأكله ، وأن الأوضاع الجنسية بين الرجل والمرأة كلها مقبولة عــدا أن تكون المرأة فوق الرجل !

ولقد حدد كبير الملائكة جبريل ، الطريقة التى توزع بهــا ثروة المتوفى ، حتى ان سلمان بدأ يتساءل : أى اله هذا الذى يبدو كرجل أعمال ؟!

وكان ذلك بداية الفكرة التى حطمت ايمانه) ! (ص ٣٦٤) .

(ونظرا لتعليم سلمان الراقى ، فقــد صــار هو الكاتب الرسمى لمــاهوند ، ومن ثم صــار هو المسئول عن كتــابة تلك التشريعــات المتكاثرة ..

وتكلم سلمان عن حثه النبى على حفر خندق كبير حول الواحــة (يثرب) .

وبعد هزيمة الجاهليين ، قال ســلمان لبعل برثاء : أين التكريم الشعبى لى ؟! أين اعتراف ماهوند لى بالجميل ؟! لمــاذا لم يذكرنى كبير الملائكة فى رسائله ؟! ولا لفظة واحدة ؟! ...

ثم اشتكى سلمان لبعل من أن وحى جبريل كان ينزل مؤكدا المواقف والتشريعات التى يتخذها ماهوند ، ولذا بدأ يشم رائحة كريهة ...

بعد ذلك أخرج سلمان زجاجة مسكر حار من عباءته ، وبــدأ هو وبعل يعبان منها عبا ...) (ص ٣٦٥) .

وقال سلمان لبعل : **(ان هذا الرجل ، ماهوند ، ساحر ،** لم يقدر أحد على مقاومة اغرائه ... وعلى أى حال ــ قالها سلمان وهو يتجرع بقية الزجاجة ــ قررت أن اختبره ...

فعندما جلس تحت قدمى محمد ليكتب له الوحى ، بدأ يغيره خلسة. لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات . **وبهذا : بدات الوث كلمة الله بكلماتى الدنسة ! ...**

بعد ذلك عرفت أن أيامى فى يثرب صارت معدودة . فرحلت عنها ، قبل الفجر ، على جمل .. ولم يعد يهمنى أن أرتبط ثانية بمدينة الجاهلية (مكة) ... ان ماهوند سيعود اليها منتصرا ، وأنا أعلم أنى سـأفقد حياتى ...) (ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨) .

(بعد أن فتح ماهوند ، مدينة الجاهلية ، وأمر بتطهير بيت الحجر الأسود من أصنام الجاهلية ــ ٣٦٠ صنما ــ جاء الناس اليه يسلمون ويعلنون : لا اله الا الله ... همس ماهوند فى أذن خالد : شخص واحد لم يأت ليركع أمامى ، سلمان ، ألم تجدوه ؟!

وفى اليوم التالى ، يسحب سلمان الى حضرة النبى ، يمسكه خالد من أذنه ، وقد مد سكينا على رقبته ، ويحضره باكيا متشنجا : وجدته أخيرا مع مومس تصرخ فى وجهه لأنه لم يدفع أجرتها . وهاهى رائحته تنتة من الخمر ...

سلمان الفارسى ! قالها النبى فى بداية نطقه بالحكم باعدامه . لكن هذا الأسير يصرخ بصوت عال : لا اله الا الله ! فيهز ماهوند رأسه قائلا : ان تجديفك يا سلمان لا يمكن غفرانه : أن تضع كلمتك بدل كلمة الله ! يقسم سلمان على تجديد اخلاصـه للنبى ، ثم يهمس اليه باسـم بعل (وشاية) . وهنا يتدخل بلال لصالحه ، فيعفو عنه النبى .

عنـدئذ يذهب خالد للبحث عن بعـل : من بيت الى بيت ...) (ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥)

*

ذلك من مفتريات الدجـال الهندى سلمان رشدى ، على الصحابى

التقى سلمان الفارسى ، لا لسبب الا لكونه ينتسب الى فارس (ايران الحديثة) التى اصطدمت بالغرب كثيرا بعد سقوط الشاه ، اضافة لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التى تعمل على تفتيت المسلمين تحت مسميات مختلفة مثل : عرب وعجم ، سنة وشيعة ، سلفية وصوفية ... فجاء هذا المسخ من تشويه لحقائق الاسلام وعبث بتاريخه ، خلطا للأوراق وجعلها فى خدمة السياسة ، التى تعنى بلغة ميكيافيلى « السفالة والاتهازية » .

وقبل ذلك وبعده ، تأتى مفتريات هذا الدجال على أمين الوحى جبريل ، وعلى خاتم الأنبياء محمد رسول الله ، فيسوقها بلا حساب . ولقد غرته نفسه فاستكبر ، وضفق يسخر منهما ومن قول : لا اله الا الله ! لقد كذب وظلم وأجرم ، والحق والعدل والتاريخ يشهدون على أنه لا جريمة بغير عقاب ...

ان له بشرى فى القرآن ، نزفها اليه والى أشياعه الذين يظاهرونه ، بشرى تقول فيه وفى أمثاله من مسخ البشر الذين يتكررون عبر التاريخ :

﴿ فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون . انا كذلك نفعل بالمجرمين . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . يقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق المرسلين . انكم لذائقوا العذاب الأليم . وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ .

(الصافات ٣٣ ــ ٣٩) .

* *

● **صفقة مزعومة بين النبى وأبى سفيان !**

يبدأ الدجال هذا الجزء من روايته الشيطانية بقول أبى سمبل (أبى سفيان) لأحد خصيانه : (أرسل رسولا الى بيت الكاهن ماهوند . سوف نجرى له اختبارا بسيطا . مباراة عادلة : ثلاثة ضد واحد) .

يتغيب ماهوند على أصحابه : حمزة وخالد وبلال وسلمان ، فيقلقون عليه • وعندما يعود اليهم يبادره حمزة بقوله : (يابن أخى ، هذا شيء ملعون ! عندما تنزل من الجبل يكون حولك نور ساطع • أما اليوم فيوجد شيء مظلم) ! ثم يجلس ماهوند على حافة بئر زمزم ويبتسم قائلا : (لقد عرضت على صفقة • فيصيح خالد : من أبو سمبل ؟ ان هذا شيء لا يتصور • ارفضها •• يستأنف ماهوند قائلا : انه أمر تافه ، حبة رمل صغيرة ، فأبو سمبل يسأل الله أن يمنحه امتيازا واحدا صغيرا •

يرى حمزة أثر الاجهاد عليه ، كما لو كان قد صارع شيطانا • ويصرخ السقاء (خالد) قائلا : لا شيء ! ولا ذرة واحدة ! يستأنف ماهوند قائلا : (اذا كان الهنا العظيم قد وجد فى قلبه أنه اذا تم التسليم بأن ثلاثة ــ ثلاثة فقط من بين ثلاثمائة وستين صنما فى البيت ــ هى التى تستحق العبادة •••) وهناك يصيح بلال : لا اله الا الله ! ويشاركه زملاؤه فى القول : يا الله !

ويستأنف ماهوند : (انه يطلب موافقة الله على : اللات والعزى ومناة ، وفى مقابل ذلك يعطى الضمان بالتسامح الدينى ، بل وبالاعتراف بنا رسميا • ويكون الدليل على مصداقية الصفقة أن أتنخب عضوا فى مجلس الجاهلية (دار الندوة) • هذا هو العرض) •

ويبدأ التعليق من أصحابه ، فيقول له سلمان الفارسى : انها مصيدة ! طيلة كم من الزمن ونحن نتلو شهادة الايمان الذى جئتنا به وهو : لا اله الا الله ؟ كيف يكون حالنا عندما نتخلى عن ذلك الآن ؟!

ويقول حمزة فى قلق : انك لم تهتم بآرائهم من قبل ، فلماذا تهتم بها الآن ؟! ولماذا تهتم بها بعد الحديث مع أبى سمبل ؟!

فيجيب ماهوند : انكم تعلمون واقع الأمر : لقد فشلنا فى اكتساب مؤمنين • ان الناس لن يتخلوا عن آلهتهم ••

ثم ينهض مبتعدا عنهم : يغتسل في زمزم للصلاة ...

يستأنف المناقشة بعد الصلاة قائلا : ليس المقترح أن يقبل الله المعبودات الثلاث كفوا له ... أن يعطوا فقط نوعا من الواسطة • وضعا أقل •

وهنا يقول له حمزة : يابن أخي • اصعد الجبل واسأل جبريل ... ويصعد ماهوند الجبل ويسأل جبريل : هل يمكن أن نسمي اللات ومناة والعزى ، ملائكة ؟ هل لك أخوات يا جبريل ؟ هل هن بنات الله) ؟ (ص ١٠٤ — ١١١) •

لقد عاد الرسول • لم يذهب هذه المرة الى زمزم • انه يدخل خيمة الشعر (التي يتبارى فيها شعراء الجاهلية) ، حيث يجلس أبو سبل سيد قومه أعلى المنصة • وما ان يرى ماهوند حتى ينهض قائلا له : (مرحبا ! مرحبا ماهوند العراف والكاهن !

ثم يبدأ ماهوند حديثه قائلا : هذا تجمع لشعراء كثيرين ، ولست أزعم أني واحد منهم • لكني رسول آتى بآيات من الواحد الأعظم • فيقول له أبو سمبل : اذا كان الهك قد كلمك حقا ، فيجب أن يستمع اليه كل الناس • ثم يسود صمت يقطعه ماهوند قائلا :

(بسم الله الرحمن الرحيم • والثريا اذا هوت • ما ضل صاحبكم وماغوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • فأوحى الى عبده ما أوحى • ما كذب الفؤاد ما رأى • أفتمارونه على ما يرى) •

(ولقد رأيته مرة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • اذ يغشى السدرة ما يغشى • ما زاغ بصري وما طغى • لقد رأيت من آيات الرب الكبرى) •

وعند هـذا الحد ، وبلا أدنى تردد أو ارتياب ، يتلو ماهـوند مقطعين آخرين : (أفرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى •

هن الطيور العلا • وان شفاعتهن ترتجى(١) •

وعندئذ تسمع صيحات وهتاف وصلوات للمعبودة : اللات ••• ويهتف أبو سمبل : الله أكبر ! ثم يسجد بعدها ، وتتبعه زوجه هند •• ويسـجد الحاضرون جميعا بين يدى النبى الذى اعترف بالآلهـة التى تحمى مدينة الجاهلية) ! (ص ١١٣ ــ ١١٥) •

*

وهكذا ، يعبث الدجال الهندى بواحـدة من أكبر ديانات العالم ، ديانة التوحيـد النقى الذى هو سمتها المميز ••• يأتى هـذا المسـخ محـاولا أن يهاجمها فى أقوى حصـونها منعـة ، وأشـد مداخلهـا صرامة ••• ولكن هيهات هيهات !

لقد حدث فى المؤتمر الثانى للحوار الاسلامى المسيحى ، الذى عقد فى قرطبة عام ١٩٧٧ ، أن ألقى **الكاردنيال ترانكون رئيس اساقفة اسبانيا** كلمة الافتتاح ، وقال فيها :

« انى كأسقف أود أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان المـاضى ، كما يريد المجمع البابوى منهم ، **وأن يعربوا عن احترامهم لنبى الاسلام •• ان هذا شىء هام جـدا بالنسبة للمسيحى ، اذ كيف يستطيع ان يقـدر** الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التى بثها ولا يزال يبثها فى حياة أتباعـه ؟ ••

لن أحـاول هنـا تعـداد قيم نبى الاسـلام الرئيسـية : الدينيـة منها والانسانية ، فليست هذه مهمتى ، وسوف يلقيها عليكم الأخصائيون واللاهوتيون المسـيحيون بالمؤتمر •• غير أنى أريد أن أبرز جـانبين ايجابيين ــ ضمن جوانب أخرى عديدة ــ وهما :

---

(١) (They are the exalted birds, and their intercession is desired indeed).

ايمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة .

أما ايمانه بالله الأحد ، فهو سمة حياته . انها اهم عقيدة تركها لأمتـــه .

وأما دعوته الى العدالة مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية ، فهى ما تزال قائمة .. بيد أنى أود أن أخص بالذكر دعوته الى سواسية الناس ، رجالا ونساء ، والى تحقيق العدالة بينهم » .

*

انها واحدة من مشاكل البشرية . عبر العصور ، أن يوجد أفزام يتطاولون على عمالقة الحق والخير والجمال ...

ولقد كان من سوء حظ البشرية أن أعطى هؤلاء ، وأمثالهم من صغار النفوس ، حظوظا من مختلف الامكانات ، فاستخدموها فى الهدم والتخريب . لقد تحقق فيهم **المثل الذى ضربه المسيح : مثل الكلاب والخنازير** ، حين علم الناس قائلا :

« لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا دركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وتلتفت فتمزقكم ـ متى : ٧ : ٦ » .

كان خيرا لذلك الدجال ، لو بقى أميا جاهلا كسواد شعبه الذى يحاول ، يائسا ، أن ينسلخ منه ...

* *

● **النبى فى غرفة نوم هند !**

يتخيل الدجال الهندى أن هند زوجة أبى سفيان (أبى سمبل) عثرت على ملقى فى أحد شوارع مكة (مدينة الجاهلية) ، فنقله خدمها الى غرفتها ، وهناك استرد وعيه . وفى هذا يقول : (يستيقظ النبى بين ملاءات من الحرير ، وهو يعانى من

صداع عنيف ، فى غرفة لم يرها من قبل .. ثم لا يلبث أن يتعرف على صوت هند ، فينهض وقد وجد نفسه عاريا تحت ملاءة ، فيناديها قائلا : هل تعرضت لهجوم ؟ .. تصفق هند بيديها ، فيأتى الخدم بطعام الافطار ، ويرتدى النبى جلبابا من الحرير .. تسخر منه هند قائلة : أيها الرسول ! ... يا له من رسول لا يغازل النساء ! أما كان فى مقدورك الحضور الى غرفتى بارادتك ، وأنت فى كامل وعيك ؟ بالطبع ، كلا . انى متأكدة أنى كنت طردتك .. يسألها النبى : هل أنا سجين ؟ فتضحك منه مرة أخرى قائلة : لا تكن أحمق . ثم تهز كتفيها استهزاء وتقول له : كنت أتجول ليلة أمس ، وقد ارتديت قناعا ، فى شوارع المدينة ، لأشاهد المهرجان ، وما كان الا أن تعثرت فى جسدك فاقد الوعى ، مثل سكران سقط فى بالوعة ، يا ماهوند !

لقد أرسلت خدمى بجمالة ، لاحضارك الى بيتى ، فلتقبل لى شكرا . فقال لها : شكرا .. ثم يتذكر ما حدث ويقول : لقد أغمى على .

تأتى هند وتجلس على السرير ، قريبة منه ، وتمد اصبعها فى فتحة الجلباب وتضرب صدره ثم تتمتم : أغمى عليك ! هذا ضعف يا ماهوند .. هل ضعفت ؟ ثم تردف قائلة له : أنا زوجة سيد قومه ، وكلانا : أنا وهو ، لسنا من أصدقائك . ان زوجى ، رجل ضعيف ، يعلم أن لى عشاقا ولا يفعل شيئا ، وذلك لأن رعاية بيوت العبادة فى أسرتى : اللات والعزى ومناة ..

وتقدم هند للنبى مكعبات من البطيخ ، محاولة اطعامه بأصابعها ، لكنه يرفض اطعامها له ، ويتناول البطيخ بنفسه .

ثم تستطرد قائلة : بعل هو آخر عشاقى . وهنا تلمح الغيظ فى وجهه .. وتقول له : لا بعل ولا أبو سمبل كفء لك . أنا فقط .. أنا عدلك وأنا خصمك .. ثم تقترب منه واضعة وجهها أقرب ما يكون

منـه ، وتقول : اذ كنت أنت نائبـا عن الله ، فأنا نائبـة عن اللات ، وهى لن تؤمن بالهك عندما يعترف بها • ان معارضتها له عنيدة ونهائية • الحرب بيننا لا تنتهى بهدنة • ويالها من هدنة ! • ان الهك رب متعال • ولا يوجـد لدى اللات أقل رغبـة فى أن تكون ابنته • انها كفء له كما انى كفء لك ••

عندئذ يسألها ماهوند : وبناء على ذلك ، هل يخون سيد قومه عهده ؟ وتجيب هنـد : من يدرى ؟ •• انه ضعيف ، كما أخبرتك • لكنى أصدقك القول : لا يمكن أن يوجـد سـلام بين الله وهـذه الثلاث • أنا لا أريد ذلك • أريد القتال حتى الموت • هذا ما أنا عليه)• ثم يرحل النبى ••• (ص ١١٩ ــ ١٢١) •

❋

عبث ما بعده عبث ، وفجور ما بعده فجور •••

وغـدا : ﴿ **سـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ .
(الشعراء : ٢٢٧)

❋ ❋

● **وماذا عن المـاخور ؟!**

يفترى الدجال كعادته ، فيقول عن مكة بعـد أن فتحها النبى ، ودخل المكيون فى الاسلام : (عاد ماهوند الى يثرب مع زوجاته ، تاركا المدينة (الجاهلية) تحت امرة قائد جيشـه خالد •• فمنذ مدة ، فكر ماهوند فى أمر خالد باغلاق مواخير الجاهلية ، الا أن أبو سمبل نصحه بألا يقدم على مثل هذا الاجراء المتهور • فلفت نظره الى أن الجاهليين حديثو عهـد بالاسـلام : فلتأخـذ الأمور بتأن • **ونظرا لان ماهوند يعتبر أكثر الأنبياء واقعية** ، فقد وافق على فترة انتقالية •

ولهذا ، اندفع الجاهليون الى ماخـور الحجـاب ، فى غياب النبى

(فى يثرب) .. ولأسباب واضحة ، لم يكن من الكياسة أن يقف رواد الماخور فى صف طويل فى الشارع ، وانما كانوا يلتفون حول نافورة الغرام ، فى الفناء الداخلى للماخور ، يطوفون حولها ، كما يطوف الحجاج ، لأسباب أخرى ، حول الحجر الأسود القديم .. كان كل رواد الماخور لابسى أقنعة ، وكان بعل (الزوج الصورى لمومسات الماخور) يراقبهم من أعلى ..

وبعد مرور سنتين ويوما واحدا ، من ممارسة بعل لحياته الجديدة (ديوثا) اذا بأحد زبائن عائشة يتعرف عليه على الرغم من تنكره ، قائلا : اذن ، هذا هو المكان الذى آواك ! لقد كان هذا سلمان الفارسى ، الذى دعاه بعل ، عقب ذلك ، الى ركن وقدم له زجاجة من النبيذ .. قال سلمان : لقد جئت الى هنا ، لأنى تارك نهائيا هذه المدينة اللعينة ، ولهذا أردت أن أستمتع بلحظة من المتعة بعد كل تلك السنين الخراء !..

لقد قررت أن أرحل الى وطنى .. انى راحل غدا دون أدنى تأخير) !
(ص ٣٨١ ، ٣٨٥)

* *

● **مفتريات حول موت النبى !**

يتردى الدجال فى قعر مستنقعات الفجور والتضليل ، فيتخيل موت النبى ، وينسبه لحلم اعترى جبريل ، فيقول : (جاءت الأخبار أن النبى ماهوند قد أصيب بمرض عضال .. وأن رأسه بها دق ثقيل كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين !

وهذا ما حلم به جبريل حول موت ماهوند : عندما بدأت رأس الرسول توجعه بآلام لم يعهدها من قبل ، أدرك أنها النهاية .. ثم صرخ قائلا : من هناك ؟ هل هو أنت يا عزرائيل ؟

لكن عائشة سمعت صوتا مرعبا لامرأة تقول : لا يا رسول الله • انه ليس عزرائيل !•••

وعاد ماهوند يسأل : هل هذا المرض منك يا اللات ؟

فقالت : انه انتقامى منك ، وهو يرضينى •• ثم خرجت تلك المرأة المتكلمة •• وتمتم الرسول : ومع ذلك ، فانى أشكرك أيتها اللات على هذه المنحة !

وما هى الا لحظات ، حتى مات) (ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤) •

*

اما بعد ••

أما وقد تردت الأمور الى هذا الحد ، فلم يعد هناك من حديث الا اللعنة ، نصبها على هذا الدجال الهندى ، من الكتاب المقدس ، فلعل حماته من (أهل الكتاب) يفيقون قبل أن تدركهم • لقد كان تعليم نبى الله داود أن نقول فى مثل هذه المواقف :

(يا اله تسبيحى لا تسكت • **لانه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش • تكلموا معى بلسان كذب** • بكلام بغض أحاطوا بى • وقاتلونى بلا سبب ••

فاقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه • اذا حوكم فليخرج مذنبا • وصلاته فلتكن خطية • لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر • ليكن بنوه أيتاما ، وامرأة أرملة • ليته بنوه تيهانا ، ويستعطوا • ويلتمسوا خبزا من خربهم • ليصطد المرابى كل ماله ، ولينهب الغرباء تعبه • لا يكن له باسط رحمة ، ولا يكن مترأف على يتاماه • لتنقرض ذريته • فى الجيل القادم ليمح اسمهم • ليذكر اثم آبائه لدى الرب ، ولا تمح خطية أمه • لتكن أمام الرب دائما ، وليقرض من الأرض ذكرهم ••

أحب اللعنة فاتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه ، فدخلت كمياه فى حشاه .. لتكن له كثوب يتعطف به ، وكمنطقة يتنطق بها دائما) (المزمور : ١٠٩) .

انها حقا رواية شيطانية ، كتبها حشاش فى ماخور ، أصيب بانفصام الشخصية فصار يتردد بين القرد والحشاش ...

فحين ينظر فى مرآة رأسية ، أمامه ، فانه يهذى ويشتد هراؤه . وحين ينظر فى مرآة أفقية ، أسفله ، ينعكس أقبح ما فيه ، فيهيج ويشتد جنونه . ان قبحه يتضاعف : قبح وجهه يغذى قبح مؤخرته ، وقبح مؤخرته يغذى قبح وجهه ، تماما كدائرة راديوية تعمل فى حالة رنين ... قبح الى ما لا نهاية ...

حقا انه شيطان انسى ، ممن نجد نعته فى قول الله فى القرآن العظيم : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا** ﴾ (الأنعام : ١١٢) .

(لقد أحب اللعنة فأتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه) ــ كما قال داوود ــ (ولكل امرىء ما نوى) ، فكان هذا عدوا لخاتم النبيين . لقد قادته نيته السيئة الى المهالك ، اذ أراد أن يشترى الشهرة والمال بأى ثمن ، فدمر نفسه تدميرا . ولكن : **(ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه)** ، كما قال المسيح .

لقد اختار طريق اللعنة ، فتهيأت له أسبابها : صار الشيطان له قرينا .

﴿ **الم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا . فلا تعجل عليهم ، انما نعد لهم عدا** ﴾ (مريم : ٨٣ ــ ٨٤) .

وعندما نقتبس ما جاء فى الانجيل عن انسان الخيانة نقول : **(لقد دخل الشيطان فى سلمان رشدى ، وهو كان معدودا من جمله**

المسلمين . فمضى وتكلم مع رؤساء الكفر كيف ينفذ مؤامرتهم . ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه مالا وشهرة ، فواعدهم . وكان يطلب فرصة ان يتم روايته الشيطانية ، فيفرغ فيها كل سمومه وسموم المتآمرين) .

ولقد قام الخائن بتنفيذ الدور المرسوم له تماما ، فاستحق من سادته قبض الثمن : أموالا وشهرة **واعلان حماية** ، كما لو كان واحدة من المستعمرات السابقة .

(ولكن ـ كما قال المسيح ـ ويل لذلك الرجل .. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) .

* *

حملة مسعورة على عيسى ومحمد ...

أخرج الدجال الهندى سلمان رشدى روايته الشيطانية ، لأول مرة ، فى عام ١٩٨٨ ، تطعن فى محمد رسول الاسلام ، وتوجه للمسلمين أفظع الاهانات .

ولقد شهد نفس العام ــ ١٩٨٨ ــ حدثا آخر له نفس الأسلوب والمحتوى والأهداف ، وهو اخراج فيلم : «التجربة الأخيرة للمسيح» يطعن فى عيسى رسول المسيحية ويشوه سلوكياته ، وأكثر من هذا أنه يمجد تلميذه الخائن يهوذا .

ويظهره فى شكل بطل غيور ، يتهم معلمه بالخيانة !

لقد صفق كثير فى الغرب ، وما يزالون ، عندما سمعوا عن مضمون رواية الدجال الهندى وطعنها فى الاسلام ونبيه . وهاجت قطعان كثيرة تطلب حمايته باعتباره منقذا لهم من خطر متوهم للاسلام ، يعشش فى عقول الحمقى منهم والجهلاء . ونسوا ، أو جهلوا ، فى غمرة موجات الجنون ــ التى تمثل ظاهرة دورية تعودنا على ظهورها بين الحين والحين ــ أن رسول المسيحية المعبود ، قد تحول فى هذا الفيلم الى عربيد زان ضعيف ، خدعه الشيطان !

ان أى جاهل بسيط ، لم يؤت حظا من الخبرة والتثقيف ، لن يجد صعوبة فى استنتاج ما وراء تلك الفقاقيع ... انها حملة مسعورة ، خطط لها بعناية ضد عيسى ومحمد فى محاولة لهدم ما يمثلانه من قيم وأخلاقيات ، وبعثرة من وراءهم من طوائف وجماعات ، حتى يخلو الجو للآخرين ، فيفعلوا بالعالم الأفاعيل ...

❋

● **فيلم التجربة الشيطانية :**

أخرج الفيلم عن رواية الكاتب اليونانى **نيكوس كازانتزاكس** ،

التى صـــدرت عام ١٩٥٥ . وكانت من أكثر الكتب رواجا ، وقد صدر ضـــده قرار بالحرمان من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية .

تقوم أحداث الفيلم . كما تقول **مجلة تايم** ، على (أن يسوع انسان كامل واله كامل . وقـــد أظهره علم اللاهوت المسيحى على أنه متحرر من الخطيئة ، لكنه معرض لكل الاغراءات بما فيها اغراءات الجنس . وعلى خطى كازانتزاكيـــس (المؤلف) ، فان سكورســـيس (المخرج) أظهر يسوع كانسان ضعيف متردد ، متعاون مع الرومان اذ يصنع لهم صـــلبانا[1] ، يعدمون عليها الثوار اليهود) .

أما صاحبه يهوذا فهو مقاوم للاضطهاد الرومانى ، لا يعجبه سلوك يسوع فيوبخه بعنف قائـــلا : **(أنت متعاون معهم ! يهودى تصنع صلبانا لهم) !**

(يعتريه كرب عظيم فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب . وهناك يجد حيتين متشابكتين ، احداهما سوداء والأخرى بيضاء .

وخلف الباب يكتشف ماخورا ، تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة . يطلب منها المغفرة ثم يسقط فى الاثم !

ويصيح قائلا : يا الهى ، أنا ابن الخوف[2] !

وفيما بعد ، أمام المنافقين البرجوازيين (من الكتبة والفريسيين ، ينقذ مريم المجدلية من الرجم ، قائلا : ومن هو الذى لم يخطىء أبدا ؟![3]

ثم يرحل الى الصحراء للتأمل ...

---

(١) كان المسيح نجارا : « كثيرون اذ سمعوا بهتوا قائلين : اليس هذا هو النجار ابن مريم ، واخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ــ انجيل مرقس ٦ : ٢ ــ ٣ » .

(٢) (Mon Dieu , je suis le fils de la peur) !

(٣) يشير الى قصة المراة الزانية التى احضرها له شـــيوخ اليهود للرجم فقال لهم : « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها اولا بحجر ــ انجيل يوحنا ٨ : ٧ » .

وهناك تجربه حية ، ويتحدث معه أسد ، ويسيل الدم من شجرة تفاح عندما يأكل منها ، وتظهر بلطة فى الرمل ...

من الآن فصاعدا ، يبشر بالحرب ... وأمام تلاميذه يدخل يده فى صدره وينتزع قلبه ، ويريه لهم باعجاب ! ويصير اله الحرب !

وفى فزعه من فرط قوته : يقيم لعازر من الأموات) ...

(الا أنه يبقى قلقا ومشوش الفكر فيما يتعلق برسالته وحقيقة مهمته . وفى احدى الليالى ، على جبل الزيتون ، يحرض يهوذا ، أفضل أصحابه ، على خياتته من أجل تنفيذ خطة الله) !

يقول يسوع ليهوذا : (افعلها من أجلى ! فيجيبه يهوذا : لا أستطيع. فيلح عليه قائلا : **افعلها ، من أجل الحب**) !

يفعلها يهوذا ، وتسير الأحداث حسب روايات الأناجيل ، حتى يعلقونه على الصليب . (وهناك فى لحظة تفكير حالم يظهر يسوع وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !

وعندما يشرف على الموت ، تتراءى له فتاة صغيرة ، لعلها ملاك ؟ انها تطلب منه أن ينزل وتقول له : لقد عانيت كثيرا . انك لست المسيا .

وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر نضر. هناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوجان) .

(وبعد موتها يتزوج مريم أخت لعازر (الذى أقامه من الأموات)، ثم يزنى بأختها مرثا !

ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين اليه ، فيسبه يهوذا قائلا : **ايها الخائن** ! لقد طلبت منى أن أبيعك ، لكنك لم تمت على الصليب . ان الفتاة الصغيرة التى تراءت لك ، لم تكن ملاكا . انها شيطان ![1] .

---

(1) (Traitre ! Tu m'as demandé de te vendre, et tu n'est pas mort sur La Croix ! La petite fille n'était pas un ange, mais Satan) !.

يتوسل اليه يسوع مرة أخرى • انه يريد العودة الى الصليب • وهناك يموت) !(1) •

وهكذا عبثوا بالمسيح •••

*

● **رد الفعل والتعليقات :**

اثار الفيلم ضجة كبيرة وموجات احتجاج عارمة ، فقد اعتبره **(المحافظون)** تجديفا ، ودعوا لمقاطعته ، وكونوا حملة من المعترضين لاتلاف الصور والملصقات أو سحبها من أماكن الاعلان • كما وقعت فى نفس الوقت عدة حوادث مما يطلق عليه **(معاداة السامية)** بمفهوم أنها موجهة ضد اليهود ، تعرض لها العاملون منهم فى استوديوهات شركة يونيفرسال ، وهتفت جماعات مسيحية فى الشوارع : **التمويل بأموال اليهود !**

وقام القس **دونالد دايلدمون ، رئيس (جمعية العائلة الأمريكية)** ، بارسال ٢ر٥ مليون رسالة احتجاج على الفيلم ، ونشر اعلانات لمقاطعته فى ٧٠٠ محطة راديو ، و ٥٠ محطة تليفزيون •

وقد طالب **بل برايت** من جماعة : **(صليبية من اجل المسيح)** ، بجمع أموال لتعويض شركة يونيفرسال عن كل نسخ الفيلم الموجودة ، نظير اتلافها •

لكن الشركة ردت على ذلك بعظرسة فى اعلانات نشرتها فى صفحات كاملة لبعض الصحف فى أربع مدن تقتبس فيها من **توماس جيفرسون** ، وتعلن فيها **ان الحقوق الدستورية الخاصة بحرية التعبير ، والحرية الدينية ، ليست للبيع** •

---

(1) TIME; NEWSWEEK; U. S. NEWS & WORLD REPORT; PEOPLE; THE NEW REPUBLIC; PAEMÈRE. (1988).

وقامت (**جماعة الأخـوات المريميات** بتداول احتجاج ضد الفيلم بـه عبارة استفزازية ـ وردت فى القصة الأصلية لكنهـا حذفت من الفيلم ـ يقولها يسوع لمريم المجدلية : **الاله ينام بين فخذيك**) !(١) .

كما احتوى الفيلم على عبارات فظيعة وضعت على لسان يسوع ، مثل قوله : (**انى كـذاب . انى منافق . انى خائف من كل شيء . ان الشيطان فى داخلى**) !(٢) .

ومع ذلك ، فقد وجد من يدافع عن الفيلم ، بل ويشيد به ، ليس فقط من بين المنجرفين من عامة الشعب ، بل وأيضـا من بين **المنحرفين من رجال الكنيسة** !

فقد قدم **الأسقف بول مور** ، فى كنيسـة نيويورك ، أقوى دفاع عن الفيلم قائلا : انه صحيح من الناحية اللاهوتية . وعلى الرغم من أن ممارسة يسوع للجنس مع مريم المجدلية ، قد يؤذى مشاعر البعض ، فيجب علينا أن نتذكر أنه **حلم** ، وأنه ليس الا صورة أخرى ليسوع ، وعملا فنيا يؤكد على جوانب معينة من شخصيته) !

ان الناس اليوم ، يا جناب الأسقف ، يعيشون حقا عالم الهلوسة !

كذلك ، قال **القس وليـام فور** ، من (**المجلس الوطنى للكنائس**) أنه يرى فى الفيلم : (محاولة أمينة تحكى قصة يسـوع من منظور مختلف) !

وقال **القس اللوثرى تشارلز برجستروم** : (**لا يمكن** اعتبار هذا الفيلم تجديفا ، أو هجوما على الأسفار المقدسة) :

---

(١) (God sleeps between your legs).

(٢) (I am a liar. I am a hypocrite. I am afraid of everything . Lucifer is inside me).

وقال الأسقف انتونى بوسكو ، من (**المجلس الوطنى للأساقفة الكاثوليك**) : (ان معاداة السامية ، والكراهية التى سببها هذا الفيلم، بصعب أن ترضى قلب المسيح) !

حقا أيها الأتقياء من رجال الكنيسة : لقد اغتيل الحق باسم الحب ، وأنتم على ذلك من الشاهدين ، بل ومن المباركين ! فباسم الحب ، ترتكب اليوم كل الموبقات ...

ولماذا نذهب بعيدا ؟! فها هو مؤلف هذه التجربة الشيطانية ـ كازانتزاكيس ـ يبدأ صفحاتها الأولى بتقديم يقول فيه : (انى متأكد **من أن كل انسان حر يقرأ هذا الكتاب الممتلىء حبا على هذا النحو ، سوف يحب المسيح أكثر من اى وقت وفت مضى ، وأفضل من أى وقت مضى**) !

* *

بين شيطانيات : الهندى ... واليونانى !

صدرت رواية الدجال اليونانى نيكوس كازانتزاكس عام ١٩٥٥ تحت اسم : « **التجربة الأخيرة للمسيح** » . وهى تعنى التجربة الشيطانية الأخيرة التى تعرض لها المسيح ، وانتهت ـ **حسب زعمه** ـ بسقوط المسيح فى الخطيئة ، بعد أن استحوذ عليه الشيطان وأخضعه لسلطانه !

وبعد ٣٣ عاما ، صدرت رواية الدجال الهندى سلمان رشدى ـ عام ١٩٨٨ ـ تحت اسم « **مقاطع شيطانية** » . وهى تزعم أن للمقطعين على شاكلة سجع الكهان وسدنة الأصنام ، قد نفثهما الشيطان أثناء قراءة النبى محمد لاحدى سور القرآن ـ سورة النجم ـ كصفقة شيطانية بين النبى وأبى سفيان ، تمجد ثلاث معبودات وثنية هى : اللات ، والعزى ، ومناة . وهذا يعنى ـ **حسب زعمه** ـ أن النبى محمدا استحوذ عليه الشيطان يوما ما وأخضعه لسلطانه !

ذلك هو الفكر العام الذى تتضمنه كل من الروايتين . ولما كانت الأولى قد سبقت الثانية بمدة ثلث قرن ، كان الانطباع العام هو أن الثانية قد جاءت كسرقة أدبية من الأولى .

واذا تعمقنا قليلا فى دراسة البنية الأساسية لكلا الروايتين ، لتبين لنا صدق القول بأن الهندى سرق من اليونانى ...

لقد لخص الناقد **جان لوقا سابلون** حقيقة **التجربة الأخيرة للمسيح** ، بقوله : (**هل هى حلم ؟ أم تقلص الزمن ؟ أم خيال ؟ الله والشيطان شىء واحد**) ! ...(١) .

وتلك هى حقيقة رواية « **مقاطع شيطانية** » فلقد هرب الدجال

---

(١) (Réve ? Contraction du temps ? Fantasme ? Dieu et le Diable sont un).

الهندى من الجد الى اللهو والعبث وذلك باللجوء الى الأحلام والتخيلات التى اتردحت بها روايته • وهو قد اعترف بذلك صراحة فى مثل قوله : (لقد بدأت الأحلام فى نفس الليلة • وفى تلك الرؤى كان حاضرا دائما ، ليس كذاته ، بل كسميه •• أنا هو ، وهو أنا ، أنا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) ! (ص ٨٣) •

(وهذا ما حلم به جبريل) (ص ٣٦٣) •
(حلم جبريل بالحجاب) (ص ٣٧٦) •
(حلم جبريل بموت بعل) (ص ٣٩٠) •
(حلم جبريل بموت ماهوند) (ص ٣٩٣) •

*

واستخدم الهندى فكرة تقلص الزمن ، كما ذكرنا سلفا ، مستعينا بتناسخ الأرواح ، والولادة مرة ثانية ، وممارسة الروح لحياة ثانية يفصلها عن الحياة الأولى مدة زمنية كبيرة •••

*

واذا كان الاغريقى قد وضع على لسان المسيح قوله عن نفسه : (انى كذاب ••• ان الشيطان فى داخلى) !

فلقد وضع الهندى على لسان النبى قوله : (عندما يأتى جبريل • أشعر كما لو أنه يأتى من أعماقى ، من نفسى) ! (ص ١٠٦) •

واذا كان الاغريقى قد أشار الى أنه عندما تختلط الأمور على صاحب الرسالة ــ المسيح ــ يكون الله والشيطان واحدا ! ، حسب مزاعمه المضللة ، فان الهندى اقتبس تلك الفكرة ووضعها فى مناقشة صحابة النبى للصفقة المزعومة مع أبى سفيان حول وضع معبودات الجاهلية الثلاث : اللات ، والعزى ، ومناة • فهو يزعم أن النبى كان يبرر قبوله للصفقة (بأن تلك المعبودات الثلاث لن يكن كفوا لله • وغاية ما فى الأمر أن يكون لهن نوع من الوسيلة اليه ، أى يكن ذات وضع أقل !

وهنا يصرخ بلال : مثـل الشياطين • فيقول له سلمان : لا ، بل مثل ملائكة الطبقة العليا •

فيعقب النبى بقوله : ملائكة وشياطين • شيطان وجبريل • اننـا جميعا نقبل بوجودهم بين الله والانسان) ! (ص ١٠٧) •

(وعندما يسترد النبى وعيه ، فانه يصرخ بكل قوته ويقول : انه الشيطان ! فى المرة الأخيرة ، كان شيطانا ! ••• لقد انخدع وعرف أن الشيطان جاءه على هيئة كبير الملائكة ، وأن المقاطع التى تلاها فى خيمة الشعر كانت شيطانية ، فيعود الى مدينـة الجاهلية بأسرع ما يكون ، قاصدا بيت الحجر الأسود ويقف أمام التماثيل الثلاثة ويعلن محو تلك المقاطع التى همسها الشيطان فى أذنه) (ص ١٢٣ ــ ١٢٤) •

❋

ولقد تكلم نقاد فيلم « التجربة الأخيرة للمسيح » ، عما به من أخطاء عقائدية من وجهة نظر المسيحية ، فقالوا ان تصوير المسيح (وهو يلتقط أقذارا وأحجارا ويقول : هذا هو دمى أيضا ، فان هذا يجعله مؤسس عقيدة وحدة الوجود (التى تقول بأن الله والطبيعـة شىء واحد) كمـا انه مؤسس للمسيحية) •

كذلك التقط الهندى هذه الفكرة ونسج على منوالها ، فاخترع مشهدا يزعم فيه أن النبى صعد الجبل ليسأل كبير الملائكة جبريل فى موضوع المعبودات الثلاث • وأن جبريل عندما رآه يصعد صار يرتجف ويتمنى لو أن النبى لم يحضر اليه ، ثم يحدث نفسه قائلا : انه (يأتى الى من أجل الوحى ، يطلب منى أن أختار بين أن يكون **مؤمنا بالاله الواحد (موحدا حقيقيا) ، أو مؤمنا بالاله الواحد مع عبادة آلهة اخرى (موحدا مزعوما)** (ص ١٠٩) •

❋

ولقد استخدم اليونانى فقرات من الأناجيل ، استنبط منها حينا ،

ما استهواه خياله واستخدم لفهمها ، أحيانا ، تفاسير منحرفة وروايات منحولة ، أوقعته فى هذه الضلالات .

فمثلا : تذكر الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) أن الروح أخرج المسيح الى البرية ، وهناك جربه الشيطان . وبعد أن اجتاز التجارب بسلام ، « تركه أبليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه ـ متى ٤ : ١١ » .

الا أن لوقا ختم حديثه عن تجربة الشيطان للمسيح بقوله : « ولما أكمل ابليس كل تجربة ، **فارقه الى حين** ـ ٤ : ١٣ » . ان هذا يعنى ، بداهة ، أن للشيطان عودة أخرى لتجربة المسيح . وكان هذا هو ما استشمره اليونانى فى روايته : التجربة الأخيرة للمسيح ، الا أنه ضل فى روايته لتلك التجربة التى اعتمد فيها على تفسيرات خاصة وروايات متهرئة .

كذلك يقرر انجيل يوحنا أن يهوذا كان **امينا للصندوق** (١٣ : ٢٩) ، ولهذا وصفه اليونانى بأنه أفضل أصحاب المسيح ، وصوره فى صورة يهودى حريص على الاسرائيليين أكثر من حرص المسيح نفسه .

وكذلك يذكر انجيل يوحنا ، أنه فى العشاء الأخير ، قال المسيح ليهوذا : « **ما انت تعمله ، فاعمله باكثر سرعة** . وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به ـ ١٣ : ٢٧ ـ ٢٨ » . من هنا قال اليونانى ـ وغيره من المدافعين عن يهوذا ـ أن المسيح كان يرجوه أن يخونه لكى يقبضوا عليه ويقتلونه صلبا ، بزعم أن تلك كانت خطة الله لخلاص العالم من الخطيئة !

ولقد كان هذا ما فعله الهندى فى سيره على خطى اليونانى ، اذ اعتمد فى حديثه عن المقاطع الشيطانية ، على روايات متهالكة قامت على

تفاسير منحرفة لبعض آيات القرآن ، مثل قول الله لنبيه : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾ (الاسراء : ٧٤ ــ ٧٥) .

ان الفهم اللغوى لهذه الآيات ليس فى حاجة الى خلفية علمية أو تاريخية بما كان بين هؤلاء ــ المشركين الذين تحدث عنهم القرآن ــ وبين الرسول . فالآية الأولى تؤكد بوضوح ان الله ثبته ، وبالتالى لم يركن اليهم . والآية الثانية تبين أنه لو فعل وركن اليهم ، ولو شيئا قليلا ، لكان عذابه مضاعفا .

ان القضية واضحة تماما . لكن هناك من تعاموا عن صدر الآية الأولى ، ووقفوا ينظرون الى بعض بقيتها نظر من يريد وقوع المنفى وقوعه ، فاخترعوا روايات باطلة لا تصمد أمام التمحيص العلمى ساعة من نهار . وليس معنى ركون الرسول الى المشركين ــ لو وقع ــ أن يأتيهم بقرآن من عنده ، ليرضيهم ، افتراء على الله . وكيف يكون هذا ، والله يحذر المؤمنين من الركون الى الظالمين ، فى قوله :

﴿ **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ (هود : ١١٣) .

فالركون اليهم ، يعنى ــ لغة ــ موالاتهم ، أو القعود عن مجاهدتهم ، أو الاعتماد عليهم .

*

وأخيرا ، نلاحظ أن اليونانى قد استخدم النساء فى حياة المسيح أسوأ استخدام ، وعلى خطاه سار الهندى عاريا ، مجردا من كل ستر أو حياء .

*

ولما كانت رواية التجربة الأخيرة للمسيح ، من أكثر الكتب رواجا

عندما صدرت عام ١٩٥٥ ، فقد سال لعاب الدجال الهنـدى أن يكون لروايته الشيطانية مثل ذلك الرواج • ولمـا كان يعلم فى قرارة نفسـه أنه كاتب مغمور فاقد الموهبة ، فلم يجد له من وسيلة سوى ارضاء المزاج الغربى الذى تربى على الخوف من الاسلام والطعن فى نبيـه وكتـابه وكراهية المسلمين ــ كما قرر ذلك بحق برنارد شو قبل خمسين عاما ــ وذلك بترديد أكاذيب بالية عن القرآن ، والخوض فى مطاعن قديمة حول تعدد زوجات الرسول ، وكلها من الموضوعات التى قتلت بحثا وتفنيدا ، ولم يبق فيها مزيد لمستزيد •

« فليس تحت الشمس جـديد • ان وجد شىء يقال له : انظر : هذا جديد ؛ فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا ــ سفر الجامعة ١ : ٩ ــ ١٠ » •

*

على أن هناك فرقا جوهريا بين الهدف النهائى لكل من اليونانى والهندى من روايتيهما : فالأول يزعم أن روايته : التجربة الأخير للمسيح، ستدفع كل انسان حر الى أن يحب المسيح أكثر وأفضل من أى وقت مضى ، بينما يفصح الثانى فى كل سطر من سطور روايته الشيطانية عن عداوة فاجرة لنبى الاسلام ، فانطلق كالكلب المسعور ينهش لحم ضحيته بطريقة تشمئز منها بقية الكلاب والخنازير •••

*

حقا انها لفضيحة وخديعة ••• ومن عجب أن يصـفق المخدوعون لخادعهم ••• ! لكنها طبيعة البلهـاء •••

*

وأخيرا ، نقول انه ليس عجيبا أن تصدر هذه الأساطير الشيطانية عن بعض من ينتسب الى الهند أو اليونان •••

اقرأوا التاريخ القديم ، ان شئتم ، واقرأوا من أين جاءت مثـل هـذه الأسـاطير •••

* * *

محاكمة الكاتب سلمان رشدى
وفق أحكام الكتاب المقدس

● **تمهيد :**

ملأ الكاتب الهندى سلمان رشدى روايته « مقاطع شيطانية » بالطعن فى المقدسات المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين • فلقد طعن فى الاله ، والملائكة والنبيين ، وكان لأمين العرش جبريل ، وأبى الأنبياء ابراهيم النصيب الأكبر من السخرية والشتائم والاهانات • وباختصار ، لقد جدف على المقدسات المشتركة •

وفى هذه المحاكمة التى تتم وفق مفاهيم الكتاب المقدس وأحكامه وعقوباته ، سوف نتحى جانبا تجديفه على مقدسات الاسلام ، ونكتفى بالنظر فى جرائمة التى تقع فى المساحة المشتركة من المعتقدات بين أتباع الأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، مع ملاحظة هامة سبقت الاشارة اليها فى مستهل الحديث عن قضية هذا الكاتب ، ألا وهى : (أنه يضع فكره وعقله ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها • وهو يسوق أفكاره سوقا من وراء شخصياته التى تبدو كالأقنعة أو المشجب حامل الأفكار) •

* *

● **من مفاهيم الكتاب المقدس :**

يعتبر الملاك الذى يصطفيه الله ويرسله الى البشر ، حاملا لاسم الله ، ومن ثم يحرم التمرد عليه أو الاستخفاف به • وما يحدث فى حياة البشر من اعتبار السفير ممثلا لرأس الدولة ، كذلك الحال بالنسبة لهؤلاء الملائكة ــ **﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾** (الروم : ٢٧) ــ اذ يعتبر التجديف عليهم كأنه تجديف على اسم الله • ولهذا كان تعليم الله لموسى ولبنى اسرائيل فى قوله :

« **ها انا مرسل ملاكا** أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجيىء بك الى المكان الذى أعددته • **احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه** • لأنه لا يصفح عن ذنوبكم **لأن اسمى فيه** •

ولكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك ــ خروج ٢٣ : ٢٠ ــ ٢٢ » •

ومن هذا المفهوم ، كان تعليم المسيح لتلاميذه :

« **الحق الحق اقول لكم : الذى يقبل من ارسله ، يقبلنى • والذى يقبلنى ، يقبل الذى ارسلنى** ــ انجيل يوحنا ١٣ : ٢٠ » •

وفى كثير من قصص **الكتاب المقدس** ، يكون الحديث عن الله كأنه حديث عن ملائكته ، والعكس بالعكس •

ففى قصة الذبيح ابن ابراهيم ، نجدها تتبادل الحديث عن الله ، وعن الملاك الذى أرسله الى ابراهيم ، كالآتى :

« وحدث بعد هذه الأمور **أن الله امتحن ابراهيم • فقال له : يا ابراهيم • فقال : هانذا • فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه • • واصعده هناك محرقة على أحد الجبال ••**

ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه • **فناداه ملاك الرب من السماء** وقال : ابراهيم ، ابراهيم • فقال : هأنذا • فقال : **لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا • لأنى الآن علمت انك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنى** ــ تكوين ٢٢ : ١ ــ ١٢ » •

لم يقل الملاك لابراهيم : الآن علمت أنك خائف الله ، **فلم تمسك ابنك وحيدك عنه ، انما قال : ... عنى** •

ومثل ذلك ، ما كان فى أول وحى تلقاه موسى فى سيناء :

« **ظهر له ملاك الرب** بلهيب نار من وسط عليقة • فنظر واذا

العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق • فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ••

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسط العليقة ـ خروج ٣ : ٢ ـ ٤ » •

ومثل ذلك كثير ، كما رأينا سلفا فى قصة جدعون ، حيث « **ظهر له ملاك الرب .. فالتفت اليه الرب وقال** ـ قضاة ٦:١٢ـ١٤ »•

واذا كان هذا هو الحال مع الملائكة المرسلين ، بوجه عام ، فان لجبريل أمين الوحى ومعلم الأنبياء وضعا متميزا ولا شك • فهو بلغة الكتاب المقدس : **الواقف قدام الله** •

فقد جاء لزكريا يبشره بابنه يحيى (يوحنا) ويقول له :

« **انا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا** ـ انجيل لوقا ١ : ١٩ » •

وكان هو الذى أرسل الى مريم العذراء ليبشرها بابنها المسيح عيسى:

« **أرسل جبرائيل الملاك من الله .. الى عذراء مخطوبة لرجل .. واسم العذراء مريم** ـ انجيل لوقا ١ : ٢٦ ـ ٢٧ » •

* *

● **عقوبات التجديف على المقدسات :**

التجديف من أكبر الخطايا ، فهو وان كان كلمة ، أو كلمات ، تقال الا أن عقوبتها رهيبة . فلقد حذر المسيح من تلك الخطية ، وخاصة عندما يكون التجديف على الروح ، فقال :

« **كل خطية وتجديف يغفر للناس . واما التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان (المسيح) يغفر له . واما من قال على الروح القدس فلن يغفر له : لا فى هذا العالم ، ولا فى الآتى ••**

يا أولاد الأفاعى : كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار • فانه من فضلة القلب يتكلم الفم •

ولكن ، أقول لكم : ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين • لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان ـ انجيل متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧ » •

وقد اعتبر المسيح التجديف من أكبر الشرور ، فجعله يعادل الزنا والقتل ، اذ قال : « من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : **زنا ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف . كبرياء ، جهل** • جميع هذه الشرور تخرج من الداخل ، وتنجس الانسان ـ انجيل مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣ » •

ولقد حرمت التوراة سب الله وسب الرؤساء الدينيين ، فقالت : **« لا تسب الله ، ولا تلعن رئيسا فى شعبك** ـ خروج ٢٢ : ٢٨ » •

❊

ولقد جعلت التوراة عقوبة مثل هذا التجديف : القتل رجما ، يستوى فى ذلك الاسرائيلى الذى يؤمن بالله والتوراة ، أو غير الاسرائيلى الذى له دين آخر ، أو الذى ليس له دين على الاطلاق •

« كلم الرب موسى قائلا : أخرج الذى سب **(وهو ابن رجل مصرى)** الى خارج المحلة ، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ، ويرجمه كل الجماعة •

وكلم بنى اسرائيل قائلا : كل من سب الهه يحمل خطيته • ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل • يرجمه كل الجماعة رجما • الغريب كالوطنى : عندما يجدف على الاسم يقتل ـ لاويين ٢٤ : ١٣ ـ ١٦ »•

كذلك جعلت التوراة عقوبة سب الوالدين ، أحدهما أو كليهما ، انما هى القتل ، فقالت :

« كل انسان سب اباه او امه ، فانه يقتل ـ لاويين ٢٠ : ٩ » .

وخلاصة القول : ان عقوبة التجديف على الله ، أو اسمه ، أو ملائكته ، أو خليله ابراهيم ، أو أنبيائه ـ الذين هم أكبر الرؤساء الدينيين ، وسبهم أو السخرية منهم ، أو الحديث عنهم باستهزاء ، كل ذلك وأمثاله ، عقوبته : القتل رجما • ويحدث ذلك بأن تقوم الجماعة التى تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه ، بتنفيذ الحكم على رؤوس الأشهاد •

* *

● **جرائم الكاتب سلمان رشدى :**

١ ـ السخرية من الاله ومن خلقه البشر ذوى خيال وأحلام ، وذلك فى قوله **(لو كنت الله ، لأبطلت الخيال فورا من اذهان الناس .** وآنذاك قد يستطيع أولاد الزنا المساكين مثلى أن يحصلوا على قسط طيب من الراحة (بالنوم بلا أحلام بمضاجعة الأمهات ليلا) ! (ص ١٢٢)•

٢ ـ الحديث عن اسم الله بسخرية وتهكم ، اذ يقول :

(يوجد الله يسمونه هنا : الله ، الذى يعنى ببساطة : الاله . واذا ما سألت الجاهليين عنه فسيعترفون بأن هذا الشخص له نوع من السلطان الكلى ، الا أنه لا يتمتع بحظوة كبيرة بينهم • فهو الله يقوم بكل الأدوار فى زمن التماثيل المتخصصة) ! (ص ٩٩) •

وجدير بالذكر أن لفظ الجلالة : الله ، بهذا النطق الصوتى (ALAH) كما فى العربية ـ هو ما ذكره عالم اللاهوت الدكتور **سكوفيلد فى الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدس الانجليزى** (ENGLISH BIBLE) ـ بمعاونة ثمانية من العلماء حملة الدكتوراة فى اللاهوت ـ وذلك فى تعليقه على العدد الأول من سفر التكوين الذى

يقول : (فى البدء خلق الله[1] السموات والأرض) • **وللأسف ، فان الطبعات التالية لتفسير سكوفيلد ، قد حذفت كلمة (ALAH) ، حتى لا يدرك عامة المسيحيين أن عليهم ان يعبدوا الاله الذى يعبده المسلمون ، ويعرفونه باسم : الله** •

يقول الله فى قرآنه ، تعليما للمسلمين :

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » (العنكبوت : ٤٦) •

٣ ــ الاستهزاء بالملائكة والسخرية من تطويع الله لهم بكلمات معسولة ووعود براقة • فهو يقول :

(وماذا عن الحالة الملائكية ؟ هى وضع وسط بين الألوهية والانسية • ألم يعتريهم الشك أبدا ؟ بلى • فقد حدث ذات يوم أن اعترضوا على ارادة الله ، حيث تواروا تحت العرش متذمرين ، ومتجاسرين على التساؤل عن أشياء محظور السؤال عنها : هل من الصواب أن ••• ؟ ••• **فكان طبيعيا ان يهدىء الاله من تذمرهم مستخدما مهارات الادارة الالهية . فلقد اشبع غرورهم بقوله : ستكونون وسائل تنفيذ ارادتى فى الأرض ، وادواتى لخلاص الانسان وهلاكه ، وكل الهلم جرا المعتادة !** وآنذاك : هتافات فرح سريعة ، ونهاية للاحتجاج ، وعودة ثانية الى العمل ، تصاحبهم الهالات !

ان الملائكة يمكن تهدئتهم **بسهولة ، فاذا جعلتهم وسائل فى يدك ، فلسوف يعزفون لحن فيثارتك المفضل** . أما البشر ، فانهم نوع مشاكس ، يستطيع الشك فى كل شىء ، حتى ما تشهده عيونهم) (ص ٩٢) •

---

(1) The three primary names of Diety : Elohim, Jehova, and Adoni, and the five most important of the Compound names, occur in Genesis.

Elohim (sometimes EL or Elah), English form : God, formed from : EL = strength, or the strong one, and Alah, to swear , to bind oneself by an oath, so implying faithfulness.

٤ ــ وفى تهكم عابث ، يقول :

(فى تلك السنوات ... هل من الممكن القول بأن كبير الملائكة جبريل ؟ أم أن نقول : الله ؟ قد تسلطت عليه فكرة التشريع) ! (ص ٣٦٣) .

(انا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) (ص ٨٣) .

٥ ــ وعن ابراهيم خليل الله ، يقول :

(فى قديم الزمان ، جاء الأب ابراهيم الى هــذا الوادى بصحبة هاجر وابنهما اسماعيل . وهناك فى تلك البرية عديمة المــاء تخلى عنها ، فسألته : هل يمكن أن تكون هذه ارادة الله ؟ فأجابها : انهــا لكذلك .

ثم رحل ابن الزنا ! منذ البدء ، استخدم الناس الاله لتبرير ما لا يمكن تبريره !) (ص ٩٥) .

ان ذلك الكاتب الهندى يشتم أبى الأنبياء ويصــفه بابن الزنا ، ثم يتهمه بالكذب على الله !

٦ ــ ثم هو يتهم الأنبياء جميعا بأنهم جاءوا من عند أنفسهم ، ومن ثم كان منهم الواقعى ، ومنهم المثالى ، ومنهم المتزمت ، ومنهم المتساهل ، وذلك ما ينطوى عليه قوله :

(**ما هوند ، اكثر الانبياء واقعية ،** فقد وافق على فترة انتقالية) (ص ٣٨١)

*

● **الحــكم :**

من الثابت أن الكاتب الهنــدى سلمان رشدى قد ارتكب الجرائم الآتيــة :

ــ التجديف على الله .

ــ التجديف على اسم الله .

ــ التجديف على الملائكة .

ـ سب خليل الله ابراهيم والطعن فيه .

ـ الطعن فى الأنبياء والسخرية منهم .

وتطبيقا للأحكام الواردة فى : (خروج ٢٢ : ٢٨) ، (لاويين ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) ، (لاويين ٢٠ : ٩) ، واسترشادا بتعاليم المسيح فى : (متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧) ، (مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣) ـ تكون عقوبة الكاتب الهندى سلمان رشدى هى :

الرجم حتى الموت .

* *

ذلك هو الحكم على سلمان رشدى ، وفق أحكام **الكتاب المقدس** وهو حكم لا رجعة فيه ولا فرصة عنده للنجاة منه .

وجدير بالذكر هنا **أن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر** قد قال فى تصريح له : (ان سلمان رشدى يستحق الاعدام بسب رسول الله ﷺ **غير انه يجب التحقيق معه وتمكينه من الدفاع عن نفسه . ثم ان له حق الرجوع والتوبة ، وهنا يسقط عنه الحد)(١) .**

*

(من له اذنان للسمع فليسمع) كما قال المسيح كثيرا فى الانجيل ...

ولكن : **(رب مستمع ، والقلب فى صمم)** ، كما قال الشاعر أحمد شوقى ...

* * *

---

(١) شيطان الغرب : ص ٩٧

حقـــوق الانســـان ...

نعم ... وألف نعم من أجل حقوق الانسان ..

وهل الدين ــ كمـــا تعلمناه فهما واستيعابا وايمانا ــ فى أحـــد مقاصده الكبرى ، الا من أجل حقوق الانسان ؟!

لكن كل حق يقابله واجب ... فتلك بديهية منطقية ، أقرتهـــا خبرات الحياة ، وذلك هو العدل والميزان الذى تستقيم بهما أمـــور الحيـــاة .

ولسنا الآن فى صدد الحديث عن حقوق الانسان فى الاســـلام ، فى بضع صفحات من هذا الكتاب ، فذلك موضوع يحتاج الى بضـــع مئات من الصفحات . لكنا نكتفى بمسه مسا خفيفا فى صورته العـــامة التى تتكلم عن حق الكائن الحى من انسان وحيوان ونبات ..

ان أول حق للكائن الحى ، هو حق الحيـــاة . فلا يهلك الا فى منفعة ، أو اقامة لعدل ، أو درءا لمفسدة ، **والله لا يحب الفساد** ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وقـــد لعن القرآن أولئك الطغاة الذين اذا ما آل اليهم الأمر ، أفسدوا فى الأرض باهلاك الحرث والنسل : من انسان وحيوان ونبـــات ، فقـــال :

﴿ **واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنســـل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد** ﴾ (البقرة : ٢٠٥ ــ ٢٠٦) .

وكان من أحاديث الرسول أن رجلا غفر الله له ، من أجل شربة ماء سقاها لكلب فى يوم قائظ ، فأنقذه بها من الهلاك ، وأن امرأة دخلت النـــار فى قطـــة حبستها ولم تطعمها حتى ماتت . (فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) (رواه البخارى) .

واذا كان الانسان قد أحل له أكل لحوم بعض الحيوانات والطير ، فان هذا الحق الذى منحه الله له ، يقابله واجب هو أن يكون رحيما بالحيوان حين الذبح • وفى هذا قال الرسول : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (رواه مسلم) •

واذا كان الانسان قد استخدم بعض اخوته من بنى الانسان فى خدمته ؛ فان عليه واجبا قبلهم ، حدده الرسول بقوله : « هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم) (رواه مسلم) •

واذا كان الانسان قد استخدم بعض الدواب فى الركوب والتنقل وحمل الأثقال والعمل ، فان من حق تلك الحيوانات أن تمهد لها الطرق ، تخفيفا عليها • وقول عمر ـ الخليفة الثانى ـ فى هذا مشهور ، يعطى القدوة والمثل فى العالم أجمع لتقدير الحاكم لمسئولياته ، حتى أمام الحيوان ؛ اذ قال : « والله لو عثرت بغلة فى العراق لعددت نفسى مسئولا عنها لم لم أمهد لها الطريق » •

ونعود الآن لنقصر الحديث عن حقوق الانسان ، فنقول : انه بعد حقه فى الحياة ، ككائن بيولوجى ، فان له حق الكرامة ، منحة من خالقه : الله ، وليست عطية من مخلوقين مثله :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الاسراء : ٧٠) •

وله الحق فى حرية العقيدة ، دون ضغط أو اكراه :

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

ثم نعبر الآن عشرات الحقوق الى أن نصل لحقه فى الكرامة فى غيبته ، لا فى حضوره فقط • وفى هذا يقول القرآن :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾ (الحجرات : ١٢)

وللانسان الحق فى الكرامة ، ليس حيا فقط ــ سواء فى حضوره أو فى غيبته ــ وانما له الحق فى الكرامة ميتا • فلقد وقف رسول الله لجنازة رجل ميت من غير المسلمين ، فلما استنكر الصحابة ذلك وقالوا لــه : انهــا ليهودى ، وقــد علموا مــا فعــله اليهود بهم ، قــال : « **اليست نفســا** » ؟!

المسلم ، اذن ، بحكم عقيدته وتعاليم نبيه ، هو من أكثر الناس ايمانا بحقوق الانسان • ولكنها حقوق ــ مثل كل الحقوق ــ يقابلها واجبات • فهما وجهان متقابلان لعملة واحدة ، لو أخذنا أحد الوجهين وأغفلنا الوجه الآخر ، لتحولت تلك العملة الى نقد زائف يتعرض حامله **لأشد العقوبات** •

※

ان حقوق الانسان ، شعار براق يستهوى الأنفس السوية ، ولكنه غالبا ما يطلق ليكون : **كلمة حق يراد بهــا باطل** • **وما ذلك فى حيــاة** البشر بالشىء الجديد •

لقد كان : السلام •• والعمل من أجل الســلام ••• ومن أجل عالم يســوده الســلام ••• هى أكبر الشعارات ترديدا على ألســنة المسئولين فى القوتين العظميين ، أثناء فترة الحرب الباردة • ولم تكن هذه الشعارات أكثر من خــداع • فلو صــدقوا فيما يزعمون لتحقق السلام فى العالم ، ولكن هيهات •••

ولقد كان الحب ، وما زال ، هو أكثر الشعارات استحواذا على النفس ولكنه ، كالعادة ، كلمة حق يراد بها باطل •

وما بالنا نذهب بعيدا ، ولدينا ما زعمه الدجال اليونانى فى تجربته الشيطانية الأخيرة للمسيح ، من أنها من أجل حب المسيح ! يقول هذا بكل تبجح،بعد أن هوى بالمسيح الى الحضيض ، وجعله أضحوكة شديدة المرارة والسخرية !

وهكذا كان شعار حقوق الانسان ، هو ما رددده المرددون دفاعا عن الدجال الهندى ، فى مقاطعه انشيطانية ، بزعم حقه فى حرية التعبير .

ان دل هذا على شىء ، فانما يدل على جهل فاضح أو تزييف متعمد . وان قبل هذا من ملايين البشر التى لا تدرى من حقيقة هذا الأمر شيئا ، فلا يمكن قبوله ، ولو للحظة واحدة ، من كبار المسئولين ، مثل بعض السادة قادة الدول وساستها ورجال الفكر فيها ، الذين يفترض فيهم المعرفة والدراية بما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة من مواثيق واعلانات .

لقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة — فى العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ — **الاعلان العالمى لحقوق الانسان** ، ودعت الدول الأعضاء الى ترويج نصه ، والعمل على نشره وتوزيعه . والآن ، ماذا يقول هذا الاعلان ؟

ان أول سطر فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، يتحدث عن كرامة الانسان . فهو ينظر اليه بما هو أهله ، أى كمخلوق ذى مثل عليا وقيم يعيش من أجلها ، لا مجرد كائن حى أو حيوان ناطق يسعى من أجل حياته المادية .

تقول ديباجة هذا الاعلان : **(لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية** وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم .

ولما كان تناسى حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال **همجية آذت الضمير الانسانى ..**

ولما كان من الضرورى أن يتولى القانون حماية حقوق الانسان ..

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت فى الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الأساسية **وبكرامة الفرد ...)** .

ان الحديث فى ديباجة الميثاق ينصب على : كرامة الانسان والمحافظة

عليهـا ومنع الأذى عن الضمير الانسـانى • وان هذا لهو ما يرجوه كل انسان حر مستنير •

تأتى بعد ذلك مواد الاعلان ، التى تركز على المحافظة على كرامة الانسان ، فتقول مادته الأولى : (يولد جميع الناس احرارا **متساويين فى الكرامة والحقوق** ، وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء) •

وتقول مادته الثانية عشرة : **(لا يعرض احد لحملات على شرفه وسمعته ، ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل تلك الحملات)** •

وتقول مادته التاسعة عشرة : (لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير) •

ثم تقول مادته التاسعة والعشرون (وهى قبل الأخيرة) فى واجبات ذلك الانسان الذى كفل له هذا الاعلان العالمى كل هـذه الحقوق ، ما يلى :

١ ــ (على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذى يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نموا حرا كاملا •

٢ ــ يخضع الفرد فى ممارسـة حقوقه وحرياته لتلك القيود التى يقرها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العـادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخـلاق فى مجتمع ديمقراطى •

٣ ــ لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها) •

لقد تمسك المدافعون عن الدجال الهندى بالمـادة التاسعة عشر التى تتحدث عن حرية الرأى والتعبير ، ونسوا أو تناسوا أن تلك الحرية مقيدة بروح هذا الاعلان العـالمى وبمختلف مواده وخاصـة المـادة

الثانية عشرة ، التى تحظر أن يتعرض الانسان لحملات على شرفه وسمعته . **ثم المادة التاسعة والعشرون ـ الفقرة (٢)** ـ التى تقضى باحترام حقوق الغير وحرياته ومقتضيات المصلحة العامة والأخلاق .

واذا نحينا جانبا حملات الدجال الهندى على الله وملائكته ، ونظرنا فيما سطره عن البشر : ابراهيم ومحمد والأنبياء ، لوجدناه قد اغتال شخصياتهم ، وانتهك حقوقهم ، وشن حملات مسعورة على شرفهم وسمعتهم .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير حساب .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير مروجها لأشد العقاب .

ان **المملكة المتحدة** قد خالفت الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وأخلت بتعهدها الذى يلزمها (**باتخاذ اجراءات مطردة ، قومية وعالمية ، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الأعضاء**) .

ان القوانين تسن لتواجه متطلبات الحياة الطيبة ، وبناء على خبرات البشر وتجاربهم . ولقد أكدت الأزمة التى أحدثتها رواية « مقاطع شيطانية » ضرورة اتخاذ اجراءات لتعديل القانون الانجليزى الحالى ، الذى يحمى فقط **المذهب الانجليكانى** ـ مذهب الدولة ـ من الطعن والتجريح ، بينما لا تجد بقية المذاهب المسيحية الأخرى ـ مثل الكاثوليك والأرثوذكس ـ ولا تجد بقية الديانات مثل : اليهودية والاسلام ، أى حماية فى ظل هذا القانون .

لقد قال المسيح فى موعظته : « **بالدينونة التى بها تدينون ، تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم** ـ متى ٧ : ٢ ـ ٣ » .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ... فحين غضبت عشرات الملايين من المسيحيين على فيلم الزور والبهتان « النجربة الأخيرة للمسيح » تمسك

المدافعون عنه ، أعداء الله وأنبيائه ؛ بدعوى : حرية الرأى والتعبير • وآنذاك أسقط فى أيدى المدافعين عن المسيح ؛ فلم يجدوا ردا حاسما لايقاف الفيلم ، سوى استخدام العنف والاعتداء على دور العرض ، وتخويف جمهور النظارة وارهابهم • ولما كان منهم من يدافع عن الدجال الهندى بذات الدعوى ، وهى : حرية الرأى والتعبير ، فالآن نقول لهم ولأمثالهم ، ما قاله المسيح : (بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم) !

*

لقد كانت السيدة **مارجريت تاتشر** من أول المدافعين عن الدجال الهندى فى بذاءاته الشيطانية ، بدعوى أن أى تهجم عليه يعتبر (تهجما على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان)

لقد كالت هنا بكيلين • فالكل يعلم حملتها على **بيتر رايت** مؤلف كتاب: **صائد الجواسيس** ، فى عام ١٩٨٨ ، وملاحقتها له فى أستراليا ومحاولتها منع نشر الكتاب فى العالم • ثم تأتى حملتها الضارية على كتاب مماثل آخر **هو : التاريخ الرسمى للمخابرات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية ،** الذى كتبه سير **مايكل هوارد** أستاذ التاريخ الحديث (سابقا) بجامعة أوكسفورد •

ان الحرية حين تترك بلا ضوابط وحدود تتحول الى فوضى شاملة ، اذ أنها تتحول الى عدوان على (حقوق الغير وحرياته ومقتضيات النظام العام والمصلحة العامة والأخلاق فى المجتمع الديمقراطى) ، كما يقول الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

بل ان الحرية الشخصية أصبحت موضع تقييد ومساءلة ، حيث ان اطلاقها بلا حدود يعنى الحاق الضرر بالغير وبالمصلحة العامة • ولهذا كان تركيز **الكونجرس الأمريكى** على الأهمية القصوى لعامل الأخلاق وحسن السلوك الشخصى للمرشحين لتولى المناصب الكبرى فى **الادارة الأمريكية** • ومن هذه المنطلق القويم رفض **مجلس الشيوخ الأمريكى** ترشيح **جون تاور** وزيرا للدفاع ، فى فبراير ١٩٨٩ ، بسبب تعاطيه الخمور

وعلاقاته النسائية ، كما رفض ترشيح ريتشارد ارميتاج مساعدا لوزير الدفاع بسبب تورطه فى عمليات سرية تمت من خلف ظهر الكونجرس .

وهكذا يثبت واقع الحياة ، استحالة اطلاق الحريات بلا حدود . فليس هناك حق مطلق للتعبير وابداء الرأى ، ولكن هناك حق للتعبير تقيده حقوق الآخرين واعتبارات الأخلاق التى تلزم لاقامة مجتمع متحضر. بل ان واقع الحياة قد أثبت ضرورة التمسك بالأخلاق باعتبارها عاملا أكيد المفعول فى محاربة وباء العصر ـ الايدز ـ والتوقف عن ممارسة الشذوذ الجنسى واستعمال حقن المخدرات . لقد كان هذا ما قرره المؤتمر الدولى للايدز الذى عقد فى مونتريال بكندا فى صيف عام ١٩٨٩ . لقد كانت العلاقات الجنسية تعتبر عند كثيرين من المسائل الخاصة جدا ، التى لا يسمح بمناقشتها . بل ان المدلول اللغوى للكلمة الانجليزية (Private) فى أحد استعمالاتها المتعلقة بالعورة ،ليؤكد هذه الخصوصية أما الآن فان هذه الخصوصية أصبحت موضع تقييد ، حرصا على سلامه البشرية من طاعون العصر .

حرية التعبير . اذن ، حرية مقيدة . وفى هذا يقول الكاتب الانجليزى رونالد بارك فى مقال نشرته صحيفة صن البريطانية (٥ ملايين نسخة) (لم يكن أحد خارج الأوساط الأدبية يعرف شيئا عن سلمان رشدى . لكنه فجأة أصبح من المشاهير الذين دخلوا صحائف التاريخ ، حيث لم يسبق أن تجمع مثل هذا العدد من أصوات الدول لتحتج من أجل حماية انسان واحد : ان البعض يتصورون أن هذا الرجل مجرد كاتب برىء ، وهم يؤكدون أننا جميعا نتمتع بحرية الكلام والنشر ، وهذا صحيح ، ولكن أليس هناك حد لكل شىء ؟! اننا مثلا لا نستطيع أن نحرض على قلب نظام الحكم ، بالرغم من هذه الحرية . واذا حدث فسوف نحاكم فورا بتهمة الخيانة العظمى .

اننا لا نستطيع أن نقوم بالتشهير او الذم ، والا فان مواد القانون ستطولنا ، والأحكام ستلاحقنا . وحتى الآونة الأخيرة من تاريخنا ، لم

لم يكن لنا أن نتهجم على الدين أو نعلن الكفر • ولكن قلة تمسكنا بالدين أدت بنـا الى التخلى عن اعتبار الزندقة من الجرائم التى يعاقب عليهـا القـانون •

ورغم ذلك بقى فى النفوس احساس بالمرارة والاحتقار للذين يستخفون أو يستهزؤون بالمعتقدات التى تعطى الآخرين معنى وقيمة للحياة •

واذا نظرنا الى سلمان رشدى ، فسوف نجد أنه ولد وتربى أصلا فى بيئة اسلامية (فى الهند) ، ولذا فانه حتما يدرك مدى ولاء ووفـاء المسلمين لنبيهم ولآله وصحبه ورسالته • وبالتأكيد فان رشدى كان يعلم ، عندما صور النبى بالصورة التى صوره بها ، أن أشواكه الجارحة ستدمى قلوب المسلمين • **فلماذا أساء اليهم هذه الاساءة الفاحشة ؟!**

هل قام بذلك لينال الشهرة بأى ثمن ، أم ليجلب الأنظار الى كتابه ، أم ليكسب المـال بأى طريقة ، أم لينفث عن صدره غله وحقده على دين ترعرع فيه قبل ان يقوم بنبذه ؟ لقد اعتذر سلمان رشدى الى الخمينى بذلة ، كما اعتذر الى المسلمين عما سببه لهم من اساءة لمشاعرهم ، لكن المؤسف أنه لم يقدر ، قبل قيامه بتأليف كتابه ، أن هذا الكتاب سيسىء الى تلك المشاعر • **ومع ذلك لم ينطق سلمان رشدى بكلمة اعتذار واحدة الى البلاد التى اتخذها وطنا له (انجلترا) وسبب لهـا كل هذه المشاكل •** لذا فقد آن الأوان أن يكفر عن اساءاته اليها ، وأن يشرح كيف أرغمته دوافعه الخفية الى اهانة ١٠٠٠ مليون مسلم فى مختلف انحاء العالم •

لقد غادر رشدى بومباى ليجىء الينا ويدرس عندنا ، ويحصـل على الجنسية ، ولن يستغرب اذا علم أن عـددا كبيرا من سكان الجزر البريطانية يتمنون لو أنه لم يأت الينا من بلاده)(١) •

هذا ، ولقد شهدت القاهرة ندوة فى شهر ابريل ١٩٨٩ ، موضوعها : **العرب وأوروبا عام ١٩٩٢** ، شارك فيها عدد من خبراء السياسة العالمية ،

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٣/٧

كان منهم من الجانب الأوروبى ، المسيو كلود شيسون ، وزير خارجية فرنسا (سابقا) ، ومفوض السوق الأوروبية المشتركة (سابقا) ، وتحدث منهم من الجانب العربى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذى طرح عدة تساؤلات تتعلق بأوروبا لموحدة المزمع بروزها الى الوجود عام ١٩٩٢ ، فكان التساؤل الأول متعلقا بهذا الكيان الضخم الذى لم تكتمل صورته النهائية بعد ، وكان التساؤل الثانى عن طبيعة روح هذا الكيان الضخم الذى سوف نراه أمام عيوننا عبر البحر سنة ١٩٩٢ .. ان أوروبا الموحدة تبدو أمامنا مأخوذة بامكانيات القوة التى يمكن أن تتوافر لها ، **لكننا لا نسمع ما فيه الكفاية عن القيم التى تستهدفها هذه القوة وتسعى اليها) .**

ثم كان التساؤل الثالث ــ الذى يتعلق بسوء الفهم الأوروبى للاسلام والاصرار على اصدار الأحكام المسبقة على العرب والمسلمين ، اذ قال :

(**هناك التساؤل الثالث** : عن الدواعى الحقيقية لمظاهر من سوء الفهم تشوب دائما صورة العرب فى أوروبا ، رغم ما أشرت اليه عن قرون التواصل الحضارى بين الطرفين . على خلفية هذا التواصل الحضارى بين الطرفين ، **فلا بد أن نقول بأمانة انه يدهشنا هذا الذى نراه احيانا من اختصار الاسلام الى الارهاب ، ومن اختصار العرب الى البترول ، ومن اختصار حقائق الصراع العربى الاسرائيلى الى حكاية معاداة السامية .**

وفيما يجرى على رقعة العالم كله الآن ، فاننا لا نرى سيئات تنسب الى أمة بأسرها ، كما نرى فى حالتنا فعمليات الجيش السرى اليابانى لم تنسب الى الأمة اليابانية ، وعمليات الجيش السرى الفرنسى لم تنسب الى الأمة الفرنسية ، وعمليات الجيش السرى الأيرلندى لم تنسب الى الأمة الأيرلندية . **هناك تقنصر المسئوليات على حدودها السليمة ، وفى حالتنا تطفى الأحكام ويجرى تعميمها بدون تحرز أو تمييز .**

ولقد كانت أوروبا أولى من غيرها بأن تفهم طبائع مراحل التطور

على أرضنا وتساعد على اجتيازها ان استطاعت بدون تعسف لا مبرر له . وانصافا لأنفسنا فنحن لم نلجأ الى مثل هـذا التعسف فى الأحكام ، **وما كان اسهل ان نقول ان اسوأ ظواهر العصر الحديث أوروبية : النازية أوروبية ، والفاشية أوروبية ، والستالينية أوروبية ، والاستعمار أوروبى ، والصهيونية أوروبية ، والتمييز العنصرى أوروبى ، والحربان الوحيدتان على مستوى العالم فى التاريخ كله أوروبيتان ـ الاولى والثانية ـ** لكننا من جانبنا أدركنا أن أوروبا الحقيقية أكبر عشرات المرات من كل ما ظهر على أرضها من افرازات وتقلصات مراحل التطور والنمو .

التساؤل الرابع : ومن الحق أن نتحدث عنه بصراحة ، فما ظهر لنا حتى الآن ان أوروبا ، مجتمعة أو متفرقة ، تتعامل مع العالم العربى أحيانا ـ أكرر أحيانا ـ بمواقف تتراوح بين الأبوية المتفضلة ، او الانتهازية المتسللة .

فما بين دروس تبدأ بالتبشير بمزايا الاعتدال فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وحتى التحذير من عواقب ما يسمونه الارهاب الدولى والذى توجه تهمته الى العرب جزافا ـ **مرورا بالدروس عن حرية الرأى بصدد تلك الضجة المفتعلة عن كتاب لا يختلف أحد فى أنه اهانة بالغة للدين الاسلامى .**

لقد وصلت الينا هذه الضجة هنا فى العالم العربى وكأنها أصداء صليبية فى غير موضعها وفى غير زمانها .. ومع ذلك فما زلنا نسمع دروس حرية الرأى ، وحرية البحث ، وحرية الخيال من أناس يعرفون قبل غيرهم ان بلادهم ، وهى صاحبة التاريخ الطويل والتقاليد العتيدة فى السعى من اجل الحرية ، تعرف حتى الآن قيودا على هذه الحرية ، تفرض نفسها بسطوة النفوذ أو سلطة القانون . وآخر مثل لها ، حين اضطر رئيس البرلمان الألمانى ، قبل شهور

قليلة ، الى الاستقالة لأنه جازف بابداء رأى قصده خيرا ، ولكن الذين لم تعجبهم بعض الألفاظ نزعوا القائل من فوق مقعده .

وحين ذهب بعض العقلاء منا (نحن المسلمين) الى المحاكم البريطانية يشكون من اهانة دينهم ، كان حكم القاضى أن قانون تحقير الأديان فى بريطانيا ينطبق على المسيحية (المذهب الانجليكانى) ولا ينطبق على الاسلام . ففى بريطانيا وفى غيرها قوانين تسمح بمناقشة الأديان ونقدها ، **ولكن القوانين (فى بلاد كثيرة) تمنع تحقير الأديان لأنه يتجاوز حق اى فرد فى الاعتقاد والخيال ويمس حق الآخرين فى احترام مقدساتهم مهما كان أو يكون)(١) .**

*

وأخيرا ، ومهما يكن من أمر ، فلا سلام للبشر ولا أمن بينهم الا بالحق والعدل . وبدونهما تنهار المبادىء التى جاهدت من أجلها البشرية عبر القرون ، ويتحول العالم الى غابات تسرح فيها الوحوش والحيوانات، **وان ارتدت ياقات بيضاء ، وانطلقت تغزو اجواز الفضاء .**

* * *

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٤/٥